المناقب السنية

لسيدنا
شيخ الطريقة النقشبندية
مولانا الجليل
الشيخ محمد امين الكردي البغدادي
رضي الله عنه وأرضاه

تاليف فضيله
الشيخ أحمد محمد حمادة

المناقب السنية

لسيدنا

شيخ الطريقة النقشبندية

مولانا الجليل

الشيخ محمد امين الكردى البغدادى

رضى الله عنه وأرضاه

تأليف فضيلة

الشيخ أحمد محمد [illegible]

مطبعة نهضة مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتى وعليه سبحانه حسن توكلى

الحمد لله مفيض النعم الزكية البهية ، على قلوب أوليائه العاملين بشريعته الزاهرة النقية ، ومطهر الافئدة الرشيدة بالالطاف والامدادات الالهية ، حتى تغدو بما أنيرت بالمعـــارف والاسرار صافية لؤلؤية ، أستغفره تبارك وتعالى واتوب اليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة تغمرنا بالرحمة الالهية ، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله ، وحبيبه وخليله ، المختار من صفوة عباده الطاهرين ذوى المناقب السامية الرضية .

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبى المبعوث رحمة للعالمين ، الهـــادى إلى الطريق القويم ، المعلم امته الخلق الكريم ، وعلى آله الطاهرين ، وصحبه الطيبين ، وعلى من أنعم الله عليهم من الأنبياء والعلماء والشهداء والصديقين ، والأولياء الصالحين وعلى من اقتفى أثرهم ، وسلك صراطهم . صلاة وسلاما ، دائمين متلازمين ، يرحمنا الله تعالى بهما فى جنة عليه . ببركة مشايخ الطريقة النقشبندية آمين يارب البرية .

* * *

وبعد فهذا كتاب مختصر فيه قبس من سيرة ولى الله تعالى الصالح ، عين انسان آل بيت النبوة الاطهار ، التقى النقى ، عالم الشريعة والحقيقة ، غوث السالكين ، وقطب العارفين ، ذى الفيض الجارى ، والنور السارى ، المربى الفاضل ، والمرشد الكامل ، وسيلتنا إلى الله تعالى ، وحبيبنا وقرة أعيننا ، السيد محمد أمين بن حسن الكردى الأيوبى ، السليمانى ، الهاشمى ، المشهور بالبغدادى قدس الله سره ، ورضى تعالى عنه وأرضاه ، ونفعنا ببركته فى الدنيا والآخرة ، آمين .

* * *

لقد أحببت فى هذا السفر ، أن انشر فيه عبير شمائله ، وأريج فضائله ، تيمناً ببركته ، طيب الله ذكره ، وسقى روضه شآبيب رحمته ورضوانه .

وعسى الله تعالى أن ينفع من نظر اليه ، أو اطلع عليه ، راجياً منه تبارك وتعالى حسن القبول ، بجاه الرسول ، صلى الله عليه ، وعلى آله وصحبه وسلم .

* * *

السلسلة النقشبندية

وانى حباً بالفائدة ، اذكر هنا السلسلة النقشبندية ، اسماء الشيوخ الكمل ، ذوى الطريقة النقشبندية العلية ، تبركاً بهم وتشرفاً ، مبتدئاً بذكر اسم مولانا الشيخ رضى الله عنه ، ومنتهياً بمن استمدت منه هذه الطريقة الشريفة . وذلك حسب الأسانيد الصحيحة .

شيخنا الذى تشرفنا به وتلقينا عنه هذا المسلك الشريف مباشرة هو حضرة امام المتقين وبهجة العارفين مولانا السيد محمد أمين حسن الكردى الأيوبى المشهور بالبغدادى ، تلقى الطريق عن غوث السالكين مولانا الشيخ عمر الملقب بضياء الدين عن سراج الملة والدين ، الشيخ عثمان الملقب بسراج الدين . عن ذى الجناحين مولانا أبى البهاء الشيخ خالد ، عن مولانا شاه عبد الله الهندى الدهلوى ، عن مولانا شمس الدين حبيب الله جان جانان شاه مظهر ، عن مولانا نور محمد بدوانى عن مولانا محمد سيف الدين ، عن مولانا الإمام محمد معصوم ، عن مولانا مجدد الالف الثانى الشيخ أحمد الفاروقى المشهور بالإمام الربانى ، عن مولانا خوجة محمد الباقى عن مولانا محمد خَوَاجَكَى السمرقندى الأمْكَنْكِى ، عن مولانا درويش محمد عن مولانا محمد القاضى الزاهد عن مولانا ناصر الدين عُبَيْدُ الله أَحْرَارْ السمرقندى ، عن مولانا يعقوب الكرخى عن مولانا محمد علاء الدين العطار ، عن قطب العارفين الشيخ عبد القادر الجيلانى عن مولانا المشهور بشاه نقشبند بهاء الدين والدنيا الشيخ محمد الأويسى البخارى عن مولانا السيد امير كلال ، عن مولانا محمد بابا السماسى عن مولانا على الرَّامِتُنِى عن مولانا خوجه محمود انجير فغنوى ، عن مولانا خوجه عارف الريوكرى ، عن مولانا خوجه عبد الخالق الغجدوانى ، عن مولانا السيد يوسف الهمدانى ، عن مولانا الامام

على الفارمدى ، عن مولانا الشيخ سيدنا حسن الخرقانى ، عن مولانا تاج العارفين طيفور الملقب بأبى يزيد البسطامى ، عن مولانا الامام العاشق الصادق جعفر الصادق ، عن مولانا قاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق ، عن الصاحب الجليل المعدود من آل بيت الرسول سلمان الفارسى ، عن الشيخ الشفيق صاحب الرسول فى الغار والطريق مولانا ابى بكر الصديق ، عن حضرة فخر الانام ومصباح الظلام ورسول الله الملك العلام ، سيدنا ومولانا وشفيعنا وحبيبنا ووسيلتنا إلى الله تعالى سيدنا محمد ، عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام .

* * *

« مولـــده »

ولد رضى الله عنه وارضاه ببلدة السليمانية ، فى الثامن من شهر ربيع الثانى ١٢٨٦ هـ . وكأنى به رضى الله عنه يطل على الدنيا فى الربيع ، اشارة إلى أنه ربيع القلوب وزهرة عطرة تضوع بالخير والنور والبركة .

وبالفعل كان ميلاده قدس الله سره قرة عين لآله الكرام ، ووردة فواحة لأهل عصره وأوانه ، ونفحة مباركة لأتباعه وأحبابه .

بَيْدَ أنه لم يترعرع وينعم بظل والده ، فقد اختاره الله لدار كرامته ، وهو لم يزل فى المهد صبيا ، فنشأ وترعرع فى حضانة والدته الطاهرة النقية الحسيبة النسيبة ، الشريفة السيدة أمينة . مع إشراف خاله المحمود السيرة والسريرة ، ولقد حسنا الاعتناء به واهتما بتنشئته ، فشب وشاب رضى الله عنه ، تلوح على وجهه الوضاء لوائح العناية الإلهية ، والرعاية الربانية ، حتى لايكاد أحد ينظر اليه ، إلا ويقع حبه فى قلبه . ويجله ويود أن لا يفارقه .

كان من فضل الله تعالى عليه أن نشأ راغباً فى الفضائل معرضاً عن السفاسف محباً لله تعالى ، محبا لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) زاهدا فى الدنيا راغبا فى الآخرة ، وهو عالى الهمة . شريف النفس . طاهر القلب . قوى الايمان ، عظيم الاخلاص ، لا يُضْمرُ غِـلاً ، ولا يحمل حقدا ، حسن الشمائل . كريم السجايا .

وكان من حسن اعتناء والدته وخاله به ، أن ادخلاه المكتب ليتعلم فيه القراءة والكتابة واللغة ، ثم تبحر فى العلم الشريف المنقول منه والمعقول ، وحفظ القرآن

الكريم ، والشعر والأدب ، ونبغ فى ذلك كله ، حتى غدا حجة لامعة ، وبرهانا ساطعا .

ومن توفيق الله تعالى له ، أنه ما سئل رضى الله عنه فى الفقه الشافعى ، الا أجاب بما هو معتمد فى المذهب ، ولما استقر فى مصر التف حوله اكابر علماء الأزهر ، وشيوخ الاسلام للتبرك به والأخذ عنه ، وكانوا كثيراً ما يستفتونه فيما غمض عليهم من المسائل ، فيجيبهم بما يبهر العقول ، ويشرح الصدور فيستفيدون منه فى مجلس واحد مالم يستفيدوه فى مجالس ، وكان رضى الله عنه يجيد اللغة العربية والتركية والفارسية والتكلم بها كأبنائها ، وكثيراً ما كان احد اخواننا الاتراك يزور الشيخ ، ويتحدث اليه باللغة التركية ، فيعْجَبُ من فصاحته فيها ويَطْرَبُ لحلاوة منطقه ، وعذوبة ألفاظه ، وحدثنا مرة ، فقال : كان شيخنا الشيخ عمر رضى الله عنه إذا جاءته رسالة باللغة التركية يدعونى اليه فآتى وأنا فى أشد الحياء فأقف وراء الباب ، وأترجم الرسالة والشيخ يسمع من داخل الحجرة وكذلك كان شأنه رضى الله تعالى عنه فى الفارسية .

وكان يحفظ الأشعار الصوفية ، المملوءة بالحِكَم ، فَيَقُولُهَا كما هِيَ فى الفارسية ، ثم يترجمها إلى العربيـــة ، وكم كنا نَطْرَبُ لعذوبة ألفاظه وجميل منطقه ، وكم كان لذلك من تأثير عظيم فى نفوسنا .

وكان يقول لنا رضى الله عنه : فى بلادنا يعلمون أولادهم ثلاث لغات غير لغتهم : (العربية والفارسية والتركية) فتعلمت الثلاثة . وكان رضى الله عنه ابرز إخوانه ، وانبغ أقرانه .

وكما كان رضى الله عنه يغذى عقله بالعلم والأدب والحكمة ، كان يغذى رُوحَهُ بالتقى والصلاح والمراقبة ، متبعاً فى ذلك هدى الرسول ﷺ فى مثل قوله «يا أبا ذر لا عقلَ كالتدبير ولا ورعَ كالكف ولا حسنَ كحسن الخلق » .

وكان يحدثنا عن عادة أهل بلاده فى تربية ابنائهم ، فيقول : « من عادة أهل بلادنا أن يُعْنَوا بأولادهم كثيراً فيأتون بمؤدب لهم إلى البيت ، يعلمهم كيف يأكلون ، وكيف يجالسون الناس ، وكيف يحدثونهم لينشأوا على حب الفضيلة والكمال فى المعاشرة » .

وكان بذلك يشير رضى الله تعالى عنه ، إلى ما ينبغى أن يسير عليه ولى الطفل حتى يؤدبه بنفسه أو يجعل له مؤدباً ليبلغ سن الرشد وهو على أحسن حال .

* * *

كيف تعرف إلى شيخه ولازمه

لمولانا رضى الله عنه خالـه كان من ضباط الجيش العثمانى وكان صالحاً محباً للصالحين ، وقد من الله تعالى عليه فعرفه بغوث السالكين مولانا الشيخ عمر الملقب بضياء الدين . ثم غدا من محبيه ومريديه . وكثيراً ما كان الخال يدعو الشيخ عمر قدس الله سره إلى بيته فيلبى دعوته لما يعلمـهُ من حبه وإخلاصه وصدقه وصلاحه .

وكثيراً ما كان شيخنا رضوان الله عليه يجتمع به عند خاله ، ولأول وهلة يقع نظره عليه يميل قلبه له ويحبه ويجله ، فتعلق قلبه به وأخذ يتأدب بأدبه ويسير على نهجه فى طاعة ربه وعبادته له جل جلاله وصار يتبعه انى سار ، وكثيراً ما كان الشيخ عمر قدس الله سره يحوطه برعايته ويلحظه بعنايته حتى جاء يوم لقنه فيه الطريقة ، وذلك حين بلغ اشده وبلغ رشده . فتشرف آنئذٍ رضى الله عنه بتلقين الطريقة منه . ولزم صحبته فى الخانقاه المباركة فى بيارا .

وكان يومَ دخوله الخانـقَاه ، يوم عيد وسرور لأهل بيته ووالدته . سمعته رضى الله عنه يقول : عندنا فى بلادنا ، يصنعون الشراب يوم يتلقى ولدهم الطريق من شيخه ، إظهاراً للفرح والسرور ويقولون وهم مبتهجون : ولدنا دخل فى سلك الصالحين .

مناقب والدته وتأثيرها فى ولدها
رضى الله عنهما

كانت والدته رضى الله عنها من خيار نساء زمنها عبادة وزهداً ، إذ نشأت على حب الله تعالى وطاعته وعبادته ، وعلى حب الرسول ﷺ ، حبا جما وكانت لا تسمع أحداً يتغنى بشمائله ﷺ الا تواجدت واهتزت انساً وسروراً ثم تنهمر من مآقيها دموع رقراقة تُنْبِىءُ عن عظيم حبها لهذا الرسول العظيم ، الذى بعثه الله تعالى رحمة للعالمين .

وكان من حرصها على تنشئة ولدها وفلذة كبدها على حب الله تعالى وطاعته لينشأ نشأة الرجال الكمل الاتقياء الابرار ، أنها تأتيه فى جنح الليل فتوقظه ، فإذا تغلب عليه

النوم ، اتته بماء ثم ترشه على وجهه برفق ، فاذا تيقظ هرع إلى الوضوء فيسبغه فرحا مسروراً ، ملبياً رغبة والدته ثم يصلى التهجد معها ما شاء الله ان يصلى ، مع أن سنه لم تتجاوز السابعة ، وقد سمعته رضى الله تعالى عنه يقول : كنت اقوم الليل وانا ابن سبع سنين .

وكانت والدتى شريفة من أهل بيت النبوة ، وكانت تقوم الليل فكانت توقظنى وترش على وجهى الماء لاستيقظ فكنت أقومُ فأصلى معها .

فأنظر رحمك الله كم كان لهذه الوالدة الشفوقة بولدها البار من يد بيضاء فى تشجيعه على طاعة الله تعالى وعبادته . فى وقت يكون الناس فيه غرقى فى نوم عميق .

وماذا يقال عن ولد مميزٍ بهذا السن يقوم جوف الليل والناس نيام يتقرب إلى الله الكريم بتلك الركعات التى كان يخشع فيها لله تعالى . ثم أنه رضى الله عنه كان يجد الراحة والطمأنينة فى قيام الليل، و التهجد فى جنح الظلام والابتهال إلى من لا يغفو ولا ينام .

بلغ به الأمر يوماً رضى الله عنه أن قرأ القرآن كله فى ركعتين . ولقد صحبته ولزمته وكنت أبيت معه . فكان قيامه رضى الله عنه من الساعة الثانية عشرة ، أو من الثانية إلى الفجر ، أما فى آخر العمر المبارك فكان قيامه وتهجده من نصف الليل ، من الساعة الثانية عشرة فقط ، وكان ورده رضى الله تعالى عنه قراءة القرآن الكريم ، والمراقبة .

رؤيته الامام أبا حنيفة
رضى الله عنه

كان من اثر طاعته لربه منذ نعومة اظفاره وتوقيره لوالدته وإخلاصه لشيخه وصدقه فى اقواله وأفعاله ، اكرام الله تعالى له اكراماً لم ينله إلا أكابرُ أولياء الله جل جلاله .

حدثنا مرة رضى الله عنه فقال ، ذهبت مرة مع خالى لزيارة الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه ببغداد ، فلما وقفت أمام قبره الشريف ، حصل لى رعدة شديدة ، وتغير وجهى واصفر ، فلما رأى خالى هذا منى ، خشى أن يكون حصل لى مكروه .

فقال لى مالك ؟ جرى عليك آيه ؟

فقلت له ، ما حصل لى شىء . رأيت الامام أبا حنيفة .

فقال لى متعجباً : انت رأيت الامام . فقلت له : نعم . فاستعظم هذا الأمر واستبعد حصوله له لصغر سنه .

ثم قال قدس الله سره : فلما رجعنا : قال خالى للشيخ عمر رضى الله عنه : فلان يخبرنى أنه رأى الامام أبا حنيفة فقال الشيخ الأجل ، نعم هو رآه .

كنت مرة جالساً لديه مع اخوانى نذكر مناقب الصالحين والعلماء والأئمة المجتهدين . فكان شيخنا قدس الله سره ، يثنى عليهم الثناء الجميل . ويقول : كلهم على الحق ، وكلهم أخذ بالحق ، وكلهم احياء فى قبورهم . ثم ذكر رؤيته للامام ابى حنيفة رضى الله تعالى عنه فقال : رأيت الامام أبا حنيفة فى قبره جالسا متربعاً ، وعليه الهيبة ، جسدُهُ كله نور ، وكل شعره من شعره تحتها نور ، فأخذنى ما أخذنى من الهيبة والوقار والاحترام .

فانظر رحمك الله إلى آثار نعمة الله تعالى على أوليائه ، وكيف انه سبحانه يهب احيانا لبعض عبيده من الكرامات فى بدء امرهم ما لم ينله البعض فى نهايتهم مع السلوك .

وان دل ذلك على شىء ، فانما يدل على منزلة الشيخ رضى الله تعالى عنه ورفعة شأنه إذ كشف عنه الغطاء ، وأزيلت الحجب حتى ظهرت له حقائق الأشياء كما هى ، ورأى ذلك الإمام العظيم رضى الله تعالى عنه فى هيئته البرزخية فى عالم الخلود والصفاء ، رآه كالشمس ، كما كان فى حياته الدنيوية نوراً وضياءاً الا أن تلك الرؤية دليل على اكرام الله تعالى للأولياء المخلصين والعلماء المجتهدين ولا بدع فالله عز وجل يقول ، « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » .

ويقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى الحديث القدسى : (لا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبَّه ، فاذا أحببته كنت عينه التى يبصر بها الخ . . .

زهده وتقشفه

كان والد شيخنا رحمه الله ، ممن وهبهم الله تعالى زهرة الحياة الدنيا . وكانت والدته تحب أن يعيش ولدها كأمثاله مرفهاً منعماً ، فكانت تلبسه فى صغره طاقية

حريرية على رأسه محلاة بالجواهر . ويمشي وراءه خادم محافظةً عليه ، وحرصاً على ألا يمد أحد يده لنزع المجوهرات عن الطاقية ، بيد انه رضى الله عنه لم يلبَثْ أن نزع تلك الطاقية المرصعة ، مكتفياً بما حباه الله تعالى من تتويج رأسه باكليل الإيمان والتقوى والصلاح ، وانعم بها من رفعةٍ انعكست انوارها على وجهه الشريف ، فبدا أبهى منظراً وأروع جمالا وأهيب اجلالا واحتراما .

أجل لقد زَهِـدَ رضى الله عنه الدنيا ، وبهجتها ، وهو فى مقتبل العمر وربيع الحياة ، ولم تفتنه زينتها حتى انه رضى الله عنه ، اذا لبس قميصا اكتفى به ولم يتبعه بثان حتى يتمزق ويبلا فيستبدله بغيره . مع أن والدته رحمها الله . كانت تبعث اليه وهو فى الخانـقـاه بالملابس الكثيرة لينعمَ بها ، وترغب اليه أن يلبسها ، لكنه يزهدها وربما جاد بها للغير .

وقد بلغ به الأمر رضوان الله عليه وهو فى ريعان شبابه انه إذا جن الليل ، وأراد النوم ، ووجد الفراش مهيئاً له ، وقد كسي بالحرير فانه لايعترض على ذلك بَيْدَ انه اذا خلا بنفسه ، طرى الفراش الوثير ونام على الحصير . وتدثر بالعباءة . فاذا ما افتر ثغر النهار اعاد المرتبة كما كانت ، مريدا بذلك اخفاء تخرشنه وتقشفه وزهده وعدم ظهور شيء من ذلك الا لبارىء السموات والأرض الذى لا تخفى عليه سبحانه وتعالى خافية .

وكما كان رضوان الله عليه زاهداً زخرف الدنيا وزينتها . من ثياب ناعمة ثمينة وما اليها من وسائل الترفه ، كذلك كان رضى الله عنه زاهداً الطعامَ اللذيذَ وكثرة ألوانه فكان يبذله إلى الفقراء والمعُوزين وخدمه ، ويجود به عليهم بنفس راضية مطمئنة .

وكثيراً ماكان رضى الله عنه ، يدفع من ماله الموروث عن والده ، ليأتوه بأشهى الطعام ، وازكاه . ثم اذا ما جىء به ووضع على المائدة بين يديه وهو ذو الوان كثيرة يترك منه ما لذ وطاب ، ويتناول من ادناه ، النذر اليسير ، حامداً ربَّه عز وجل على آلائه ثم يحوله إلى الخدم .

واذا ما تعجب أحد من امره لطلبه الطعامَ الشهىَ الكثيرَ . وتناوله من ادناه زكاة

وطيباً اليسير اليسير ، قال له : انا آكل هذا وحدى ؟ (شيلوه) كلوه انتم اطعموا من تشاؤون .

وكأنى به يمتثل قوله ﷺ حسبُ بنِ آدمَ لقيماتٍ يقمن صلبه (الحديث) وهذا يدل على أعلى مراتب الزهد ، وعلى ما حباه الله تعالى من الكرم وعلو الشأن وجهاد النفس حال تمكنها ، مما تميل اليه النفوس عادة من ملذات الدنيا شأنُ اعظم الأولياء قدراً وسمواً ، كأبى يزيد البسطامى ، والإمام حسين ، والجنيد ومالك ابن دينار وابى الفيض ذى النون المصرى ، وداود الطائى ، ومن ضارعهم من أكابر أولياء الله الكمل : رضوان الله عليهم أجمعين .

وبعد فان هذا الزهد ومخالفته رضى الله عنه النفس ورغباتها ، مع البذل بسخاء للفقراء وغيرهم ناشىء من غريزته وفطرته التى فطره الله عليها ، وإقتداءه بشيخه الشيخ عمر ضياء الدين قدس الله سره ، فقد كان رضى الله عنه يبنى الخانقاه من طبقتين اثنتين ، يجعل إحداهما لطلاب العلم الشريف ، والثانية للسالكين وطلاب الحقيقة والتصوف .

أما طلاب العلم ، فكان لهم من الخيرِ الحظ الأوفر . إذ كان الشيخ ، يُطْهى أحسن الطعام ، ويذبح كل اسبوع كبشاً ، ويصنع لهم الحلوى ترفيهاً لهم . وتوسعة عليهم . ابتغاء تغذية اجسامهم ، وتنمية ادراكهم . وترغيباً لهم فى استمرارهم على طلب العلم الشريف ، وليتمكنوا بعد اخذهم من المعهد الاجازة ، لاداء رسالتهم الاسلامية الانسانية السامية ، وهم على خير حال وأحسنه ، وكان يقول (اطعِمُ هؤلاء حتى يقوى مخهم على فهم الشريعة) ، ومتى قوى مخهم ، استطاعوا ان يحفظوا العلم ، ويلقنوه ، واما السالكون ، فكان قسطهم أقل من ذلك شأناً . لا ضنا عليهم ، بل تأديباً للنفس ، وتعويداً لها على الزهد والقناعة ، وتمريناً لها على الصبر إذ كان قدس الله سره ، يؤثر تغذية الأرواح على الاشباح . ولذا كان يؤثر الغير عليهم احياناً فى الطعام والشراب .

ومما يروى عنه رضى الله عنه . انه حصل فى زمنه قحط . فكان يأخذ الطعام من الخانـقاه ويرسله لمن حوله من الفقراء والمعوزين ، فيمكث السالكون اياما صائمين صابرين ، غير متناولين شيئاً ، لانهم اقوى من الغير تجلدا ، وأكثر تصبرا ، وأشد

تحملا ، لذا كان يكشف تلك الخَلّة فيقول لهم مادحا ، حين يؤثر غيرهم عليهم فى الطعام ، انكم تصبرون ، كما يعتذر عن الغير بقوله : ولكن أولائك لا يصبرون .

وانه رضى الله عنه يقول لهم هذا ليخفف عنهم آلام السغب ليشعروا بلذة روحانية تفوق اللذة بالتغذية الجسمانية .

على ان ما ذكر من الجهاد والتضحية قد يكون السببُ المباشرُ لاكرام الله تعالى لأوليائه الصابرين الصادقين بنيلهم ما يبتغون من كمال المعرفة .

حدثنا شيخنا رضى الله عنه مرة فقال : تاقت نفسي يوما لاكل الحلوى ، فخرجت إلى مسجد مهجور لا يطرقه أحد ، وفيما هو كذلك . دخلت المسجد امرأة ولم تبصر فيه احداً سواه رضى الله عنه ، فتدنو منه قائلة : كان ابنى غائباً فنذرت لله تعالى إن حضر لاعملن الحلوى وأقدمها لرجل فى مكان مهجور . وحيث حضر صنعت الحلوى وخرجت ابحث عن بُغْيَتى هنا وفاء لنذرى ، فوجدتك فاقبلها منى تكرما . فانظر اكرمك الله كيف يكرم احبابه ويحقق رغباتهم فيما لا حرج فيه .

حقا ان العبد الصالح الصادق المتوكل على الله المخلص النية فى طاعته ربه المفوض امره اليه سبحانه ما يشاء يرزقه من حيث لا يحتسب كما يرزق الطير .

* * *

كان شيخنا رضوان الله عليه يحب العزلة والانفراد عن الناس لما يشعر بذلك من الأنس بالله والسرور والطمأنينة به ، لذلك كان كثيراً ما يترك الخانقاه ويقصد غابة فى الجبل بعيدة ، فيجلس بين اشجارها المكتظة ويذكر الله تعالى كما يحب وذلك المكان قفر مخيف كانت تأتيه الوحوش الضارية لكنه رضى الله عنه لم يعبأ بها ولم يكترث لها . لذلك كان يقصدها آمنا مطمئنا ، فيجلس حيث يطيب له الجلوس ، ويمكث ما شاء أن يمكث يذكر الله تعالى وهو فى منتهى المراقبة والحضور ، لذلك كان شيخه الشيخ عمر رضى الله عنه يحبه كثيراً ويعنى به عناية خاصة ، وكذلك كان شأن اخوانه المريدين معه ، لاسيما الشيخ عبد القادر ، ملازم الشيخ عمر فقد كان يحبه حباً جما لما يراه من اجتهاده فى الطاعه والعباده وعلو الهمة .

فكانت له به عناية خاصة ، وكم مرةً جاء إلى الخانقاه يتفقده ، فاذا لم يجدْه قصد

تلك الغابة ، فيجدُهُ مستغرقاً فى الذكر . فينظرُ اليه بعين المحبة والتقدير والاكبار ، ويبتسم له ابتسامة الرضاء والسرور . ويقول له : ما أحد يقدر ان يجلس فى هذا المكان . ثم يأخذه إلى الخانقاه .

لقد كان شيخنا رضى الله عنه معروفاً لدى شيخه ومريديه ، بعلو الهمة وصفاء السريرة وطهارة القلب وسمو الأخلاق . فلا بدع والامر ما ذكر ان يكون رضى الله عنه محبوبا محترما لدى الجميع لا سيما عند شيخه عمر ضياء الدين قدس الله سره . ولما يجده فيه من الزهد والطاعة والاخلاص والأمانة لقبه بالأمين ، وقرنه باسمه وصار معروفاً به « محمد الأمين » .

حدثنا شيخنا مرة عن اختبار الشيوخ المريدين السالكين ، لكشف ما لديهم من صفاء السريرة وقوة الملاحظة وشدة المراقبة وعظيم الاخلاص : لاسيما عند الذكر القلبي فيقول رضى الله عنه :

لا يعد المريد عندنا ذاكراً (أى صادقاً مخلصاً حاضر القلب شديد المراقبة) إلا إذا بلغ درجة استطاع بها أن يكون لذكره اثر ملموس ، بحيث إذا نظر إلى الطير وهو فى جو السماء سقط ميتاً محترقاً ، او إذا كان فى وسط الثلج ، ذاب الثلج من حوله وشعر كانه فى خلوة . أو وضع أمامه ماهية الطعام نضج لحرارة الذكر وصار صالحا للتناول . والا فهو ليس بذاكر حقا .

تلقينُ الشيوخِ الطريقةَ العليةَ

كان قدس الله سره . يحدثنا أحيانا عن طريقة القوم فى كيفية تلقين المريد فيقول : يأتى المريد إلى الشيخ ليلقنه الذكر القلبي فلما يجلس بقربه ، يقول له الشيخ استنهاضا لهمته : قلبك هنا مشيراً إلى ثديه . اشارة إلى اليقظة والتنبيه ثم يقول له : اجلس فى هذا الركن خل قلبك يقول : الله . فيمتثل المريد ويجلس كما أراد الشيخ ويبدأ بالذكر . ولا يترك الركن الذى اشار اليه الشيخ بالجلوس فيه بل يظل ثابتا ذاكراً الله حتى يفتح الله قلبه ويفيض عليه .

وخلال ذلك لا يتكلم المريد مع الشيخ البته . فاذا حصل للمريد امر ما من وساوس

أو أى شيء آخر يتصور شيخه ويتوجه اليه بروحه وقلبه فيزول آنئذ ما شعر به وترتاح نفسه ويطمئن قلبه بما يستمده من شيخه من بركته وتوجهه .

وعلى ذكر ما يعرض للذاكر أحياناً فى خَلْوَتِه ابين هنا ما ذكره لنا مرة شيخنا نفعنا الله تعالى ببركته قال : دخلت مرة مقام سيدى عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه وجلست للمراقبة والذكر ، فلم اشعر إلا وعدو الله ابليس يجلس على ركبتى . ثم أخذ يضايقنى ، وقد حاول وضع فمه على فمى . فاستغثت بالشيخ عبد القادر ؛ وقلت له ؟ أنا فى رحابك ويحصل لى هذا الحال ؟

فقال : امرك ليس بيدى . استغث بشيخك شاه نقشبند قلت : أنا فين وسيدنا شاه نقشبند فين ؟ انا عندك وشاه نقشبند فى بخارى .

فقال رضى الله عنه بل هو موجود هنا . فما كدْت اهتف ياشاه حتى حضر السيد محمد بهاء الدين شاه نقشبند ، وقال لى : مالك ؟ قلت له : هذا ابليس . يضايقنى مضايقة شديدة كما ترى . فأمسك به ، وألقاه ارضا ، ثم اعطانى جلده وقال لى إضْربْهُ . فصرت اضربه ضربا شديدا ، حتى قال لى حضرة شاة نقشبند : كفى . قلت له : أنا أريد قتله . قال لى : ليس قتله بيدك . انت ما تعرف انه من المنظرين ؟ ولكن ليس له بعد اليوم عليك سلطان وقال لنا رضى الله عنه :

حين اذن له شيخه بالارشاد العام ، طلب منه ان يستأذن فى ذلك الشيخ عبد القادر الجيلانى ، ففعل ، فأذن له ، ونال بذلك حظاً وافراً من الخير والبركة والنفع وخلال تلك الزيارة حصل ما تقدم ذكره ، وكان يقول لنا رضى الله عنه : ان شاه نقشبند والشيخ عبد القادر الجيلانى فى قبر واحد . يعنى ان روحانية السيد شاه نقشبند تلتقى مع روحانية الشيخ عبد القادر عنده فى مقامه وان السادة النقشبندية يذكرونه فى السلسلة بعد سيدنا شاه نقشبند رضى الله عنهم أجمعين .

* * *

ومما يذكره قدس الله سره ان الشيخ عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه كان يبشر دائما حال حياته بالسيد محمد بهاء الدين شاه نقشبند . وكثيرا ما كان ينظر إلى جهة المشرق حتى سئل عن سر ذلك ؟ فقال : اشم من هذه الجهة رائحة رجل يأتى

من بعدى (بمائتى سنة) يملأ الأرض هدى وبركة وايمانا . وكان كذلك الأمر حين ظهر رضى الله عنه .

وقال شيخنا رضى الله عنه . لما ظهر الشاه نقشبند . ذهب لزيارة الشيخ عبد القادر قدس الله سرهما واخذ يمدحه بلسان الفارسية ويشيد بذكراه وفيما هو كذلك تحصل بينهما مكاشفة فيقول الجيلانى رضى الله عنه للسيد محمد بهاء الدين انقشنى يا شاه نقشبند ففعل . ولهذا ذكر الجيلانى رضى الله عنه فى السلسلة الذهبية بعد السيد محمد بهاء الدين . لانه تلقى منه الطريقة الشريفة بالروح . نفعنا الله تعالى ببركتهم .

حنينة رضى الله عنه لزيارة المدينة المنورة

على ساكنها أفضل الصلاة والسلام

وما حب الديار شَغَفْنَ قلبى ولكن حب من سكن الديارا

وهذا ما نشأ عليه رضى الله عنه . ولا بِدْعَ فقد فطر على حب الله تعالى ورسوله حباً جما حتى سمعت منه قوله لو كنت اعلم من يحب رسول الله ﷺ اكثر منى لذهبت اليه اخدمه ولا عجب ، فحب الله تعالى ورسوله وحب محبهما دليل على الايمان الكامل . وفى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين » . ومن حديث شريف فى رواية ثانية « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ، ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وأن يكره أن يرجع إلى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار » .

ولا اظنه رضى الله عنه الا من هذه الفئة الكريمة التى اشار اليها سيدنا رسول الله عليه صلوات الله وسلامه عليه « ان من اشد امتى لى حباً أناسا يكونون بعدى يود احدهم لو رآنى بأهله وماله » .

اجل كان رضوان الله عليه يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حبا دفعه للتوجه نحو مدينة الانصار رغبــة فى التشرف بزيارة الروضة المطهرة ليمتع البصر والبصيرة بصاحب القبة الخضراء .

ولما اشتد الحنين لزيارة حمى المؤمنين ، وحصن المسلمين ، احب ان يستأذن فى ذلك شيخه ، الشيخ عمر ضياء الدين قدس الله سره .

فلما اعلمه عن بغيته نظر اليه شيخه بعين المحبة والاكبار لسمو هدفه . ثم أطرق واستغرق ، ثم رفع الرأس ، واعاد النظر إليه كرة ثانية . ثم خفض الرأس واستغرق بذكر الله ، دون ان يبدى له جواباً . فأدرك شيخنا رضى الله عنه انه لا اذن له الآن فى السفر إلى الحجاز .

ولم يدر الحكمة فى ذلك ، لرغبته فى المكوث لديه وعدم مفارقته له لما يكنه له من المحبة والاعجاب والتقدير . ولما يلمسهُ فيه من الخير والبركة . ام ان هناك ما يستدعى تريثه لامر ما لم يشأ اظهاره له ؟

ومهما يكن من امر . فان شيخنا رضى الله عنه احترم شيخه ولم يبد نحوه أى إعتراض أو تأفف . بل سكت عن ذلك لما يعهده من الشيوخ الكمل من الخير .

وفى ليلة اشتد فيها حنينه للزيارة المباركة ، فإذا به يحلم برؤيا قطب العارفين وغوث السالكين السيد عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه يبشره فيها بانه سيزور حضرة الرسول ﷺ زيارة حقيقية فاطمأن قلبه . وصبر صبر الأكارم منتظراً الفرصة السانحة لزيارة المبعوث رحمة للعالمين .

وفــاة شيخه رضوان الله عليهما

لم يمض وقت طويل على صبره حتى فوجىء رضى الله عنه بانتقال شيخه الشيخ عمر ضياء الدين إلى جوار ربه الكريم ، لينعم بما اعده الله تعالى لعباده الصالحين .

وقد خلَّفَ ولدهُ الجليل المبارك ، الشيخ محمد نجم الدين . فرأى آنئذ من الخير التريث بصحبته إلى أن يقضى الله امره . فأدرك ان الحكمة فى التأخير لهذا الأمر المنتظر .

وبعد سنتين من الوفاة ودع الخانقاه ، وقصد منزله ، فمكث فيه سنتين منقطعاً إلى الله تعالى بالطاعة والعبادة ، إلى أن أتاه يوم اشتد به الشوق لاجتلاء الأنوار القدسية ، المحمدية والتبرك بتلك الديار التى ضمت خير من انجبته البرية ، ليمتع بصره وبصيرته بالحضرة المحمدية ، عليه أفضل الصلاة وأزكى التحية . فاذا به يجتمع بذويه ويقول

لم : اذامات الشخص مايصنع اهله بعده ؟ فقالوا : يرثون تركته . قال : احسبونى كذلك . اقسموا بينكم مالى وتركتى ، ودعونى وسبيلى . يقول كلمته هذه رضى الله عنه ثم يأخذ بوداعهم ؛ ويترك المنزل ، فالبلد ، مولياً وجهه شطر من ملك حبته قَلْبَهُ ، شَطْرَ قرة عين اولياء الله الصالحين . شطر طيبة الفيحاء . ليقر عينا بزيارة سيد الأولياء ، وخاتم الأنبياء ، وسار من بلده غير مستصحب شيئا معه من زهرة الدنيا ، اللهم إلا ما يرتديه من الثياب متكلا على الله .

وحط به السير على شاطىء بحر . راح يتأمل فى ذلك الخضم الدال على عظيم خالقه ، ومفكراً فى كيفية اجتيازه ليصل إلى مقصوده . وأين السفينة التى ستقله ؟ وان كانت فأين المال الذى يطلبه الربان للنقل والسفر) ؟

ولكن اين ما يقوله الله تعالى فى محكم كتابه : (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) ، وشيخنا قدس الله سره فى طليعة هذه الفئة البارة . ولذا لم يَلْبَثْ فى وقوفه وتأمله رضى الله عنه حتى كان من حسن توكله على ربه جل جلاله ان أكرمه الله ورزقه رغبته من حيث لا يحتسب .

فبينما كان رضى الله عنه واقفا على الشاطىء ؛ يرنو ببصره هنا وهناك ، يجد سفينة تشق بحيزومها الماء تقصد جهته . وكلما دنت ازداد الهيام به للسفر .

وبلغت السفينة الشاطىء والقت مراسيها . وفيما رضى الله عنه يقلب النظر فيها نظر جماعة من العرب يتبادلون اطراف الحديث ، ثم يقع بصرهم عليه . فسرعان ما مالت قلوبهم اليه ، وسرعان ما هرعوا نحوه يسلمون عليه . ثم يسألونه وِجْهَتَهُ ؟ فما كادوا يعرفون بُغْيَتَهُ ، حتى أحاطوا به إحاطة الهالة بالقمر مقسمين عليه استصحابهم . ولما قبل الأمر تباروا فى اكرامه بعد أن حملوه إلى السفينة ، وكأنهم يحملون كنزاً عظيماً يحرص عليه .

ولذا اخذوا يتنافسون فى العمل على راحته . وادخال السرور على قلبه . وكان فى طليعة هؤلاء البررة رجل اتخذته تلك الفئة رئيسا لها وزعيما . فاذا به ينقلب للشيخ رضى الله عنه خادما مخلصا أمينا .

* * *

. . . وانطلقت السفينة بسم الله مَجْرِيها : واخذت تشق عباب اليم قاصدة أرض الحجاز المباركة . فاذا ما بلغتها والقت على شاطىء من شواطئها مراسيها وارستها أخذ رضى الله عنه يودع تلك الفئة العربية التى سخرها الله تعالى له ، حتى أوصلوه إلى هذه الربوع الحبيبة .

ومن ثم أخذ رضى الله عنه يمشى عارى القدمين تواضعا واحتراما قاصدا المدينة المنورة حتى وافاها ، فظل متابعا سيره مخترقا شوارعها ، حتى بلغ المسجد النبوى الشريف وهو أشد ما يكون شوقا وحنينا .

رؤياهُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم مناما

. . . هناك . وحيث الروضة المشرقة أخذ يبث شعوره وعواطفه وحبه كما أخذ يغذى رُوحَهُ وعواطفه وشعوره .

وهناك طاب الوقوف ، وطاب الخضوع . وطابت المناجاة . وهناك أخذ العهد على نفسه رضى الله عنه أن لا يأكل ولا يشرب حتى يرى من تعلق قلبه بحبه ، وقد هجر الأهل والمال والبلد من أجله ، حتى يرى النبي ﷺ . وليت شعرى أيحقق الله رجاءه ومبتغاه ؟ يحدثنا شيخنا رضى الله عنه فيقول : فى ليلة اشتد بى الشوق لرؤياه ﷺ ، فرأيت ، كأن الشمس طلعت ، فتأثرت كثيراً ، واشتد بى الأمر وقلت أنا أنام حتى تطلع الشمس ؟

ثم يقول : وفيما هو كذلك من التأثر لطلوع الشمس وعدم صلاته الفجر . يشرف عليه صاحب الرسالة ﷺ ويقول له : مالك ؟ فيقول : ما صليت الصبح ويقول له صلوات الله وسلامه عليه : وانا ماصليت الصبح . ثم يناولـهُ ﷺ طستا وابريقا ، ويقول له وضئنى .

ويمتثل رضوان الله عليه . ويصب الماء . وحضرة الرسول ﷺ يتوضاء . ويحدثنا شيخنا بأن وضوءه كان كوضوء النبي ﷺ حين كان يوضئه . ثم استيقظ رضى الله عنه ، وقد بقى للفجر ساعتان . فذهب للحرم النبوى كعادته كل يوم إذ كان ينام فى حجرة خاصة فى إحدى مدارس المدينة . وكان دائماً يتيقظ من النوم قبل الفجر بساعتين ، فيقصد آنئذ الحرم ، ويمكث فيه حتى تطلع الشمس . وكان

غالب نهاره ملازما للمسجد ، لا يخرج منه إلا للوضوء ، أو لحاجة ملحة . ولم يكن له من عمل سوى الطاعة والعبادة ، وقراءة القرآن الكريم مع ملازمة الصيام .

(رؤيته رضى الله عنه النبىَّ صلى الله عليه وسلم يقظة جهاراً)

كأنى بتلكم الرؤيا المنامية لم ترو غليل الفؤاد ، فطمع قدس الله سره فى أن يراه يقظه جهاراً وأن يكلمه . فراح يَستَعدُّ لذلك بلزوم المسجد ومجاورة الروضة الشريفة ، لذلك لا يراه من يقع نظره عليه إلا صامتاً مراقباً ، أو خاشعا مصلياً ، أو للقرآن تالياً ، ولم يجرأ أحد ما على محادثته . فقد لزم الحجرة والمراقبة ، وانعكست أنوار العبادة والطاعة على مُحَيَّاهُ المشرق ، فما رآه راء إلا أحبه واحترمه .

ولم يمرَّ زمن وهو على هذه الحالة التعبدية حتى اكرمه الله تعالى بتحقيق ما رغب فيه ، فلم يشعر رضى الله عنه إلا وقد أزيلت الحجب ، وكشف الغطاء ، فاذا بالحضرة المحمدية تجاهه ، واذا به رضى الله عنه يمتع بصره وبصيرته ، ثم يُحَدِّثُهُ مباشرةً ويسألُهُ ما يسأله ، والنبى ﷺ يجيبه على ما يحب .

وكان الشيخ نجم الدين رضى الله عنه بن شيخه الشيخ عمر قدس الله سره حمله أمانة للرسول ﷺ فبلغه إياها ونال من الخير ما كان يرجوه من بركة التبليغ ، وقد علم الشيخ نجم رضى الله عنه باداء الرسالة وجوابها .

* * * * * *

وكما رأى رضى الله عنه حضرة الرسول بالمدينة المنورة يقظة ومناماً . كذلك رآه مرة ﷺ فى الخانـقَـاه فى بغداد ، لدى المذكر .

فقد كان الشيخ عمر قدس الله سره يجلس فى الخانـقَـاه ومعه مريدوه بين المغرب والعشاء لاداء الوظيفة ، وفيما هم كذلك شعر الجميع بالفيض الالهى والتجلى الرحمانى ، فامتلأت افئدتهم بالرهبة والخشوع إلى درجة جعلت الجميع تنهمر من عيونهم الدموع .

واظهار البكاء وارتفاع الصوت به محذور خشية الرياء وحرمان بركة الختم والتوجه والقبول لكن الآن وقد تجلى الاله العظيم بالرحمة والسكينة ، فلم يمكنهم كبت الشعور

والعواطف لتيارِهَا القوى ، فتنهمر الدموعُ ، وترتفع الأصواتُ وفيما هم كذلك ارتفع صوته رضى الله عنه ارتفاعاً جلب الانظار نحوه فاذا به يغرد بالفارسية ببيت من الشعر ترجمت ألفاظه للمعنى العربى فاذا هو :

يا شيخ يا جامى رايح فين محبوبك الذى تدور عليه اهو هنا

وقد حَصَلَ للجميع حالٌ اطرب قلوبَهُمْ ، وشرح صدورهم ، واسكرنفوسهم ، فلم يتمكنوا بهذه الحالة من البقاء فى مجالسهم بل وقفوا تائهين وتفرقوا زاهلين فاذا ما هدأت ثورة التواجد وعادت السكينة عليهم وتنبه الشيخ من استغراق المراقبة وراح يبحث عن مستقر الشيخ محمد امين ووجده جالساً تحت شجره هتف به « انت عملت إيه هذه الليلة أنت جننت الناس» . ثم سأله هل صليت العشاء ؟ فلما قال : لا . قال له : وأنا ما صليت . ثم قاما ، فصليا العشاء معا . ثم عَرَفَ الشيخ عمر رضى الله عنه ، ان ما حصل انه هو الا ببركة حضور صاحب الرسالة ﷺ الذى رآه شيخنا الشيخ محمد أمين ؛ ولشدة ما تواجد . كان ما كان .

مُكْثُهُ فى مكة .

مكث رضى الله تعالى عنه فى المدينة المنورة ثلاثَ عشرةَ سنةً متمتعا بجوار الرسول ﷺ ومكث فى مكة المكرمة ثلاثَ سنواتٍ قبلها .

ما يذكره لنا رضوان الله عليه . انه لما انتقل الشيخ عمر ضياء الدين رضى الله عنه إلى جوار ربه ، رغب رضى الله عنه فى التعرف على غيره لعله يستفيد منه ، ويرى على يديه من الخير ما لم يستفده عن شيخه . بيد ان رضى الله عنه لم يجد من يفوق شيخه أو يماثله ، وآنئذ أحب أن يكون الرسول نفسه ﷺ ، الشيخ والمهذب والمعلم .

فسافر إلى المدينة المنورة ، وقصد المسجد النبوى الشريف ، ووقف تجاه الروضة المشرفة ، متأدبا مناجيا حضرة الرسول ﷺ ، وكان لسان حاله يقول : ياسيدى يارسول الله . ربانى الشيخ عمر ، والشيخ عمر انتقل لجوار الله ، فيارسول الله اتيتك راغباً عَطْفَكَ ، فاقبلنى لك مريدا . فأنا قبلتك شيخا كما قبلتك رسولا .

التوجه لمدينة سبط الرسول الحسين رضى الله عنه

التوجه لمصر

وبعد أن مكث رضى الله تعالى عنه ما مكث فى المدينة المنورة . نراه رضى الله تعالى عنه توجهت نفسه إلى زيارة مصر ، ومصر فيها ريحانة الرسول ، فيها سبطه الحسين . وللحسين رضى الله عنه تاقت نفس الشيخ لزيارته ، وزيارة الامام الجليل محمد بن ادريس الشافعى ، ولما شرح الله صدره لذلك . وكان بمثابة الاذن ؛ ودع المدينة المنورة وسار منها بسم الله قاصدا زيارة الأمامين العظيمين : سيدنا الحسين رضى الله تعالى عنه ، وسيدنا الامام الشافعى رضى الله عنه .

وجاء مصر عن طريق الصعيد ، ونزل ببلدة جرجا ، فمكث فيها ثلاثة أشهر رأى خلالها من افاضة الخير والبركة ، ما ادهش نفسه ، وملأ قلبه رضا وسرورا .

وانى لأذكر يوماً أنى كنت يوماً بمعيتة رضى الله عنه ، اجلس قرب عامود فى مسجد سيدنا الحسين فاذا بعين من أعيان الصعيد يدنو من الشيخ ، ويسلم عليه سلاما دل على ما للشيخ فى نفسه من حب واحترام . وبعد أن جلس بقربه يحدثه راح الشيخ يستعد للوضوء . فاذا بالرجل يلتفت إلى قائلا . انتم ما تعرفون هذا الشيخ ، ثم ذكر لى قصة عنه فقال : أنا رأيته فى أسيوط . كنت جالسا على البحر فاذا بسفينة تقل هذا السيد . فلما رست على البر ونزل منها ورأيته قلت : ان هذا الرجل لنبيل كما يدل مظهره ، وانه ليس من أهل هذه البلدة . وقد شعرت بالمحبة له ، والعطف عليه ، فعرضت عليه الضيافة ، وشرف الخدمة له ، والتبرك به ، لكنه رضى الله عنه يبدى رغبته فى المكوث فى بيت من بيوت الله تعالى فذهبت إلى بيتى وأتيته بأقراص من الحلوى التى يصنعونها عندنا فلما قدمتها اليه تناول منها رضى الله عنه ثلاثة قطع ، وترك الباقى ، قائلا الحمد لله . اكتفيت .

ولما الح عليه بأخذها وبقائها لليوم التالى . اجابه : وهل نملك الحياة والبقاء لليوم الثانى وأبى أخذ شيئاً ، وظل يحدثنى عن زهده وورعه ما طاب له الحديث كما حدثنى عن عظيم حبه له ، واحترامه اياه وزيارته له كلما جاء إلى مصر .

* * *

« استقراره فى مصر ، وأثره رضى الله تعالى عنه فيها »

فى السنة الرابعة عشرة ميلادية سعدت مصر بمحبته ، وتشرفت بقدومه المبارك اليها ، وحلول أرضها . ولما دخلها قصد مسجد الحسين رضى الله تعالى عنه وأرضاه .

ولما بلغه ولج مقام سبط الرسول ، ووقف لدى المقصورة النورانية يستروح عبير الإمام الشهيد المناضل .

وفى هذه الزيارة المباركة . حصل خشوع . نزلت به السكينة ، وحفت الرحمة وشعر الناس الموجودون بالفيض الالهى يغمرهم ، والتجلى الالهى يشملهم . وأدركوا ان ما شعروا به وهم فى رحاب القبة الخضراء ، الممتلئة نوراً وخيراً وبركة . ما حصل الا حين وقف هذا السيد الولى النبيل تجاه مشهد سبط الرسول ، وراح يناجيه مناجاة القلب والروح .

* * *

ومر عشرة أيام أمضاها رضى الله عنه مترددا بين مسجدى الأزهر الانور ومسجد سيدنا الحسين سيد الشهداء رضى الله عنه ، ومنتقلا بين مقامى الامامين الجليلين ، الامام الشافعى ، والامام الليثى رضى الله تعالى عنهم وأرضاهم .

وكان رضى الله تعالى عنه خلال تلكم الأيام صائما مواصلا ، فلم يتناول فيها طعاما ولا شرابا . مكتفيا بذلك الغذاء الروحى الذى يشعر به من المدد الالهى . بسبب ما بقوم من الطاعة الحقيقية لمولاه جل جلاله .

واذكر يوما خرج فيه رضى الله عنه من مقام الامام . وصادفه بعض المصريين الاثرياء ، وقد سبق أن رآه فى المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام .

فما وقع نظر هؤلاء عليه حتى هرعوا اليه مرحبين مسلمين ، وراجين التكرم منه بالنزول عندهم ، معززا مكرما ، ووجدوا فيه ضالتهم الروحية . لكنه رضى الله عنه يعتذر شاكراً ، ثم يضعون فى جيبه ما الهمهم الله تعالى عليه . بيد انه رضى الله تعالى عنه لم يطق استصحاب زهرة الدنيا فى جيوبه ، فعمل على توزيعه كما صنع فى الأموال الوفيرة التى كانت معه لدى دخوله مصر وزيارة سيدنا الحسين رضى الله عنه .

ومَرّ حِينٌ . وهو على ما ذكرنا من الاجتهاد فى الطاعة وزيارة الأئمة . ثم يعاوده الحنين إلى وطنه ، وقد قال فى نفسه (مسافر إلى بلدى) لذلك قصد سيد الشهداء وسلطان الأولياء قصد سيدنا الحسين سبط الرسول العظيم ليستأذنه فى السفر .

لكن سيد الشهداء وحبيب الرسول ، لم يأذن ، ولم يسمح له بمغادره مصر ، وأشار عليه بالبقاء والفتح بمناولته له مفاتيح . فرضى بما يرضى به سلطان الأولياء والعارفين ، واطمأنت نفسه وانشرح صدره . وخرج من الحرم قرير العين مسرورا ولكن . أين المستقر . أفى بيت من بيوت الله أم فى غيرها ؟

ثم إن على الوقاد رجل مسلم صالح ، عمله التجارى مقابل مسجد سيدنا الحسين رضى الله تعالى عنه ، تعرف على شيخنا ، ومال قلبه له واحبه ، وقد وضع شيخنا عنده بعض أمتعة له . وكانت العناية الإلهية تريد لهذا الرجل زيادة الخير والبركة والسعادة فاذا به يوما يخرج شيخنا من حرم سبط الرسول بعد الاستئذان يرجو مولانا الشيخ النزول عنده فى بيته . الكائن فى قايتباى . ويلح فى الرجاء . اذ كان ذلك الطلب بسبب رؤيا شاهد فيها سيدنا الحسين رضوان الله تعالى عليه يشير اليه بذلك ، وماعرف الرجل بقبوله رضى الله عنه الضيافة حتى رقص قلبه فرحاً نظراً لما يكنه للشيخ من حب واحترام . وما ولج الشيخ بيته حتى شعر ان سعادة سماوية هبطت اليه لم ينلها غيره .

فراح يعنى بضيفه الجليل ماوسعه الجهد . بَيْدَ أن الشيخ رضوان الله عليه لم يشأ تكليفه بقليل أو كثير . وجل ماكان من الأمر . انه رضى الله تعالى عنه كان يأتى للمنزل ليلا فيبيت فيه . فاذا تنفس الصبح خرج من المنزل قاصداً مسجد سيدنا الحسين رضى الله عنه يمكث فيه ، ثم يتوجه إلى جامع بيبرس جاشنكير ، الكائن فى الجمالية . وكان فى ذلك المسجد بضع خلوات فيجلس فى احداها منزويا عن الناس مراقباً عظمة رب الناس. يعبده فيها كما يحب، ويجلس فيها ما أراد، واذا زاره أحد لأمر ما قضى له حاجته ، وكان اخونا على الوقاد يَعْجَبُ من شيخنا كل العَجَب . اذ كيف يستطيع المثابرة على الصوم المتواصل من غير أن يتناول طعاما أو شرابا ؟ ولا يتناول إلا النذر اليسير من التمر واللبن بعد مرور أسبوع بالرغم من تقديمه له أنواع الطعام وكان يظن اخونا أن أحد مريديه ومحبيه ممن عرفه يقوم نحوه بواجب الاكرام والضيافة ويتكرم الشيخ بالاجابة جبراً للخاطر .

وراح يراقب ذلك مراقبة شديدة ، فتبين له أن طعامه وشرابه هو ذكر الله تعالى وطاعته سبحانه وقراءة القرآن الكريم . فأدرك آنئذ أنه ليس للشيخ طعام عادى إلا ما يتغذى به رضوان الله عليه مما يفيضه الله تعالى من المدد الالهى . وهذا ما يذكرنا بقول رسول الله ﷺ : أبيت عند ربى فيطعمنى ويسقين . اذن من بركة العبادة والاخلاص فيها ان المرء يشعر بغذاء الروح كما يشعر بغذاء الجسد من الطعام أو يزيد .

وقد حدثنى أحد الاخوان الذين عرّفنى على الشيخ وسعدت بتشريف صحبته قال ان الشيخ رضى الله عنه كان يزور الامام الشافعى رضى الله عنه ويبيت فى مقصورته الليلة والثلاث ولا يتناول خلالهما إلا شربة العُرْقُسوس . وكان محدثى ينام أيضا فى المسجد وسمعه مرة يقول : انا ما نحب نأكل شيئا ، ولكن أكرهونى وقالوا لى : لابد تأكل حتى تَنْفَعَ الناسَ . وكان كثيراً ما يتوجه إلى الله تعالى يسأله الهداية والفتح والارشاد .

« نشره الطريقة »

نشره الطريق فى مصر :

واستقر رضى الله تعالى عنه فى مصر ملازما مسجد (بيبرس مرّ خمسُ سنوات كان خلالها حريصا على عدم ظهور نفسه والاختلاط بالناس .

ولكن رب الناس جل جلاله أراد غير ما أراد . فانتشر اسمه انتشار أشعة الشمس ويسير متنقلا ، تنقل بلابل الروض على افنان الدوح . ويحدث الانتشار ما يحدثه النسيم من الراحة والسرور ، فلم يَلْبَثْ حتى تتوافد الناس اليه من كل جهة . لا سيما طلبة العلم الذين يأتون إلى مصر ، من فلسطين وسوريا ولبنان وتركيا والحجاز والسودان والحبش والصعيد والعراق وبخارى واليابان والهند والصين وسواها ، وكان فى طليعتهم رجال مصر وعلماء الأزهر الشريف ، ولقد تشرف الكثير منهم بالتعرف اليه . والميل له والأخذ عنه ، ولذلك استفادوا كثيرا ، ولمسوا ذلك الخير لدى توجههم إلى ديارهم . وذان من فضل الله عليهم . انهم ما رجعوا إلى ديارهم إلا وكانوا ولله الحمد المثل العليا فيما تشتهيه الأنفس من العلم والتدين والتقى ، وقد نالهم ذلك الخير والفضل ببركة تعرفهم على ذلكم التقى النقى الصالح الولى ، فانه رضى الله عنه لاحظهم بعنايته وأمدهم من روحانيته . فكانوا بين أبناء وطنهم كالبدر بين النجوم ضياء وهداية .

ولئن تعرف على فضيلته طلبة العلم على اختلاف أنواعهم وتعدد بلادهم . فلم يتقاعد عن ذلك علماء الأزهر وشيوخه ، ولا القضاة والمفتيون ولا أكابر العلماء ولم يتأخروا عن شرف التعرف به والتبرك منه .

وكان رضوان الله عليه ينظر إلى الجميع بعين العطف والعناية ، وكان الكثير من أكابر الشيوخ والعلماء يلحون عليه بنيلهم شرف أخذ الطريقة المباركة عنه لكنه رضى الله تعالى عنه . يرى الخير فى تبحرهم بالعلم وتعليمه للناس خشية انقطاعهم عنه ، فان من سلك طريق القوم ، لا يعود يشعر بلذة الحياة إلا فى سلوكهم .

وانى لأذكر من العلماء الأجلاء من توقف عن تلقينهم الطريقة الشريفة معتذرا حضرات السادة : الشيخ حسونه النواوى شيخ الأزهر الشريف ، الشيخ محمد السمالوطى رحمه الله رحمة واسعة . الشيخ بسيونى . الشيخ عبد الرحمن قراعه مفتى الديار المصرية .

فبالرغم من محبتهم للشيخ وتقديرهم له وحبهم للتقرب اليه ؛ كان يُعْرِضُ رضى الله عنه عن تلقينهم الذكر خشية تغيير منهجهم بأداء رسالة العلم ونفع الناس ويرى ما لديهم من النفع للناس عن طريق الشريعة يكفيهم عن خوض بحر الحقيقة .

وانى لأذكر أيضا من العلماء الاجلاء الذين تشرفوا بمعرفة الشيخ وصحبته الشيخ محمد ابو راشد خطيب مسجد السيدة زينب وكان مفتى الخديوى عباس وامامه سابقا وكان معروفا بخبرة العلماء ذوقا وأدبا ، والعلامه الكبير محمد بخيت المطيعى والشيخ حسن محمد البيومى وكان من أكابر العلماء ، وقد تولى مشيخة معهدا دمياط ، وكان من خيار العلماء علما ودينا . والشيخ عبد المجيد سليم مفتى الديار المصرية ، وكان محبا للشيخ كثيرا ، وكان يظهر حبه بتنفيذ ما يطلبه مما فيه خير الأمور ضمن القانون السماوى .

ومن العلماء الأجلاء أيضا الشيخ على المعداوى ، وكان من أكابر العلماء وأجلهم والسيد أحمد المرشدى ، والشيخ مصطفى محمود المتخرج من دار العلوم ، وكان من قدماء المدرسين بوزارة المعارف ، وأحمد أفندى عبد الرحمن ، والشيخ ابراهيم نوفل والشيخ أحمد عثمان اسماعيل من مدرسى الأزهر الشريف ، وامام جامع بيبرس ،

والشيخ أحمد على أحمد ، وإمام مسجد الجواهرى الشيخ مصطفى السيد ، وعبد الله بك لطفى عديل توفيق أفندى ، والسيد توفيق منيب رحمه الله تعالى وهو من كبار موظفى السكة الحديدية ومن الأولين الذين تعرفوا عليه رضى الله عنه ، وقد نال القربة والقرابة بعقد قران كريمته على ذلك الولى الصالح ، وله قصة طريفة سنذكرها فيما بعد إن شاء الله ، ومنهم ، عبد السميع ومحمد عوض وحافظ ابراهيم عيسوى .

وممن يذكرنى من السادة العلماء وكلاء المحاكم الشرعية الشيخ أمين قراعه ، والشيخ مروان بك والشيخ طه حبيب ، ومن المحامين الشرعيين نقيبهم الشيخ محمد خيرت بك راضى ، والشيخ محمد العبد ، والشيخ عبد المتعال شعث نقيب محامى الاسكندرية . وجميع هؤلاء كانوا خيار اقرانهم علما ودينا وعقيدة .

وكان من القضاة الأهلين عبد العظيم بك الشقانقيرى ، وعبد الهادى بك على ومن الدكاترة سعد الدين بك الضبع ، والدكتور أحمد بك حلمى ابراهيم وابراهيم بك يوسف وكانوا خيار اخوانهم فنا وأدبا وعقيدة ، أما الموظفون الرسميون . فعميد الكلية الزراعية محمد يوسف بك سليم . ومن موظفى الملكية الخاصة كامل بك غريب ومحمد الحسينى بك عبد السلام ، وحسن بك حلمى ، وحافظ عطوية ، ومن أكابر موظفى المعارف أحمد بك غنيم وجاد المولى بك ، وعبد القادر أفندى عاشور وجلال بك ومحمد عبد المنعم ، والشيخ عمر عبد المجيد ومحمد بك عبد الحليم ، وحسن بك خليل ، وحسن بك حسيب المهندسون ومن أعيان البلد محمد أفندى شمعة وصادق أفندى وما أذكر من العلماء والأعيان والموظفين والمدرسين والوجهاء والصناع وهم لا يحصون عددا ، بيد أن هناك افراداً لازموه وانقطعوا لخدمته ، والتشرف بصحبته وهم سبعة أفراد : الشيخ محمد الأمير ، الشيخ أحمد شرف الدين ، السيد عبد العزيز حسين الشريف ، الشيخ أحمد مرسى ، الشيخ يوسف ، الشيخ تمام محمود عبد الله ، الشيخ أحمد محمد حماده .

وقد كان الشيخ رضى الله عنه يحبهم ويشملهم بعطفه وحنانه ويلحظهم بعنايته ويمدهم من روحانيته ويقول عنهم (هؤلاء الذين معى هم خيار أهل زمانهم) وقد سمع عدد كبير يبلغ حد التواتر انه قال عنهم انهم كالنجوم بايهم اقتديت وَصَحِبْتَ . مع صدق محبة وإخلاص نية وصحة عقيدة اهتديت . وفُزْتَ بخيرى الدنيا والآخرة .

هذا وعلى العموم فإن رجالات مصر أحاطوا به إحاطة السوار بالمعصم وراحوا يعقدون الخناصر على حبه والتبرك بزيارته للاستفادة الروحية بل والدنيوية أيضا وكان فى الطليعة أصحاب الفضيلة مشايخ الأزهر الشريف الشيخ أحمد الظواهرى والشيخ محمد مصطفى المراغى عليهما رحمة الله وكم كانا يتغنيان بمناقبه ويقولان لا نظير له . ولم يريا شبيهه .

وكذلك كان من أعيان الأمة الوزراء ورئيسهم محمد باشا محمود وأحمد باشا خشبة والقيسى باشا ، وهناك أفراد من أعيان الأمة أيضا رغبوا فى التشرف بزيارته لكن لم تؤاتهم الظروف للاجتماع به إلا أنهم كانوا يبعثون إليه بالتحيات والمباركات ومن هؤلاء نسيم باشا وحلمى باشا عيسى ، فإن الظروف لم تؤاتهم للتشرف بزيارته والتماس بركاته بَيْدَ أنهم كانوا يكلفون إخوانهم المتصلين بالشيخ رضى الله عنه بتبليغه سلامهم وحبهم واحترامهم .

ولئن زاد حب هؤلاء القوم الرسميين وغيرهم من العلماء والأعيان ، فلما لمسوه منه رضى الله عنه ظهور بركته وصلاحه وتحقق كماله وعلو نفسه وكراماته واكتمال هيبته ووقاره، وكان اقربهم لديه وأحبهم اليه أكثرهم تقوى وأوفرهم أدبا وألزمهم دينا، لاسيما وانه رضى الله تعالى عنه ليس فى مجلسه غير الوعظ والإرشاد والدعوة إلى الله عز وجل وحض الناس على تمسكهم بدينهم والزهد فيما لا خير فيه والترغيب فى العمل بآداب الدين الحنيف . يقول الحق ولا يبالى ويوصى بالعدل ولا يخشى فى الله لومة لائم .

هذا وانى ذكرت بعض الإخوان المصريين فلا يفوتنى ان أذكر بعض الإخوان ممن نال الحظوة بالتعرف عليه أو أخذ الطريقة عنه رضى الله تبارك وتعالى عنه .

فمن الأتراك وخيارهم الأخ الصادق ذهنى أفندى والحاج بخارى وعلى الساعاتى ، والشيخ أسعد وكان من علمائهم الأجلاء ، ومن أهل فلسطين الشيخ محمد صبرى عابدين والحاج توفيق أبو لبن والشيخ أحمد الطاهر وأخيه الشيخ محمود أمين الطاهر ، والشيخ عبد الرحيم الخليلى والشيخ محمد نمر الخطيب . والشيخ على الجندى والشيخ عمر القيمرى وكثير غيرهم فاتتنى اسماؤهم وجلهم كان ولله الحمد خيراً وبركة وعلماً وتضحية ونفعاً لأمته وأبناء وطنه لا سيما الشيخ محمد نمر الخطيب الذى أبلى فى اعداء دين الله

يوم ثورة فلسطين ما أبلى وقد نجاه العلى الأعلى منه لصدقة وإخلاصه . ذلك فقد قصد يوماً الشام لمصلحة وطنه وأبناء دينه وفيما هو عائد لبلده عن طريق بيروت تبعه اليهود سراً ليغدروا به فلما اشرف على حدود فلسطين سلطوا عليه الرشاشات وأطلقوا عليه النار كالأمطار فأصيب فى عضده فقط وآنئذ قفل عائداً إلى بيروت ليدخل مستشفى المقاصد للمعالجة وقد لطف الله تعالى به وعافاه مما أصابه .

هذا وممن تعرف إليه وأخذ الطريقة منه من مدينة بيروت عاصمة لبنان الشيخ محمد أحمد سوبرة ، والشيخ مختار العلايلى ، وأخوه الشيخ عبد الله العلايلى ، الشيخ محمد الفيومى ، الشيخ أحمد العجوز ، الشيخ محمد عمر بن عبد الرحمن سوبرة ؛ الشيخ محمد الداعوق ، الشيخ محمد الغزال والشيخ أحمد حرب ، الشيخ خليل القاطرجى الشيخ هاشم الدفتر دار المدنى الأصل .ومن المحبين السيد منير الشريف وأنيس البلعه .

وهؤلاء والحمد لله كانوا أكثر ما يكون للشيخ حباً واحتراماً ، ولا بدع وقد نالهم حظ وافر من بركته رضى الله عنه أن يكونوا قرة عين مواطنهم وأن ينفع الله تعالى بهم أبناء وطنهم ، لقد كان منهم الموظف فى دائرة الافتاء أو فى المحاكم الشرعية أو الأوقاف أو المدارس ويبذلون ما وسعهم الجهد فيما فيه مصلحة الأمة دينا وعلمة وخلقا وتقدما . ومن كراماته أنه ذكر يوما للشيخ أحمد العجوز وكان عزبا يطلب العلم بالأزهر قوله : ياشيخ أحمد سيموت لك أولاد فاصبر . وبعد ست عشر سنة مات من أولاده محمد نور ثم عواطف وبعد اثنى عشر يوما ماتت فايزة ، ثم مات ناجى فكان يجد فى نفسه صبرا وطمأنينة بقضاء الله تعالى .

ما نال مصر من بركته رضى الله تعالى عنه

ان مما لا ريب فيه ، كما هو الواقع ، ان الله عز وجل يكرم عباده الصالحين المنقطعين إلى طاعته تعالى ، وعبادته فى الدنيا والآخرة ، اكراما تنشرح له الصدور وتفرح به القلوب . ومن اكرام الله تعالى لهم اكرام من يلوذ بهم ، أو يحبهم ؛ ويخلص اليهم ، وفضل الله تعالى كائن لا ينقطع فى كل عصر ومصر .

وهذا ما كان من شأنه فى شيخنا رضى الله عنه فما رأينا شخصا تعرف اليه أو أخذ الطريقة منه وصدق فى محبته وإخلاصه إلا وقد نال خيرا عميقا .

ولئن كان من ثمة مدينة نالت من بركة هذا الولى الكبير ما نالت وحق لها ان تتيه افتخارا بما حباها الله من خير فاجدرها مصر العزيزه .

وليت شعرى كم أصابها من شدة وأحاط بها من سوء وكم نزل بها من بلاء بيد أن الله تعالى ببركة هذا الولى الصالح سرعان ما كان عز شأنه يصرف السوء أو يخفف وطأته .

إن كنا لا ننكر ما فى مصر من نور وخير وبركة بما يتلى فيها من كتاب الله وسنة رسوله وبما فيها من مساجد محترمة . وأئمة أعلام كالشافعى والليثى ، وبما حوته أرضها من أولياء ، وبمن ضمته تربتها من آل البيت الكرام .

فانا أيضا لا ننكر المثل الحى ، فى الشخصية النيرة المكلفة ، الشخصية الحى قلبها بذكر الله تعالى ، والمنقطعه عن الخلق لتوجهها نحو الخالق عز وجل بالطاعة والعبادة والمراقبة مع بذل الجهد فى ارشاد الناس بما يرضى رب الناس من سلوكهم طرق الخير ، وتوجههم للحق وحثهم على التمسك بكل مكارم الأخلاق .

ولا بدع فيمن كان هذا شأنه أن يجرى الله تعالى على يديه من الخير والكرامة وهو فى قيد الحياة ما قد يجريه أحيانا على يدى غيره ممن انقطعت علاقته من الدنيا ، وغدا مجاور رضوان ربه تبارك وتعالى .

ذلك فان الاحياء هم المطالبون باقامة معالم الدين الحنيف ، ونشر مبادئه ، والتمسك بآدابه وأخلاقه ، وهم المثابون على استقامتهم وطاعتهم وتنفيذ ما ذكر ، كما أنهم هم المعاقبون اذا مالوا عن الصراط السوى ، واشبعوا رغبات نفوسهم الأمارة .

ولذا كان من عدل الله تعالى ورحمته وبره بالصالحين ، وامدادهم بمعونته ، ان يخفف البلاء والمصائب عن العباد والبلاد ببركتهم .

وهذا ما لمسناه فى مصر اثره ببركة مولانا الشيخ محمد أمين البغدادى رضى الله عنه . ولئن كان من الخير ذكر مثل حى يستدل به على كون الأحياء يرحمون بالطيبين الاخيار من الأحياء ، وما لأولئك الأولياء من أثر حميد باكرام الله تعالى لهم ، بكشف ما أصاب قومهم من بلاء وعناء ، ببركة وجودهم ودعائهم واستشفاعهم فلنكتف بذكر حادثة واحدة وقعت فى زمن سيدنا عمر بن الخطاب رضوان الله عليه .

فقد امسكت السماء حينا من المطر فدب الجفاف فى الأرض وامحلت حتى ضاق فى الأمر الناس وارتفعت الأصوات بالدعاء لرب العزة فى أن يكشف البلاء عن عباده .

وعز ذلك على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فتوجه هو ونفر من الصالحين إلى سيدنا العباس رضى الله عنه ، عم النبى ﷺ . يتوسلون به إلى الله عز وجل ، عساه سبحانه يمن على الناس فيفرج عنهم الكرب الذى أصابهم ببركة توسله وشفاعة من ذكر . وبالفعل ما توجهوا إلى الله تعالى ضارعين اليه لينزل الغيث وينبت الزرع ويكشف العناء فضلا منه تبارك وتعالى ، ونعمة ورحمة متوسلين لذلك بسيدنا العباس عم النبى ﷺ ، حتى أجاب الله تعالى دعاءهم ، وحقق ببركة دعائه أمالهم فنزل الغيث وعم الخير .

ان دل هذا على شيء فانما يدل على فائدة ، التوسل إلى الله تعالى بعبـاده الصالحين والأولياء المقربين . سواء الأحياء منهم أوالأموات . وعلى ما للأولياء الأحياء من أثر فى نفع بيئتهم الأحياء .

وبعد فمهما يكن فلا يمكننا بوجه من الوجوه بعد ما لمسنا بأيدينا ورأينا باعيننا ما لمسنا ورأينا من بركة شيخنا وكراماته . لمس هذا كل من تعرف اليه وأخذ منه الطريقة الشريفة . رضى الله عنه ونفعنا وأحبابنا وإخواننا المسلمين به وباولياء الله أجمعين ، ولا قطع عنا مددهم .

وانه ليشبه ما تقدم فى الخير والنفع ما أصاب مصر من عناء وكرب . ثم ازالتهما ببركة وجود شيخنا رضى الله عنه الذى أخذ يجأر فى الدعاء لرب الأرض والسماء أن يكشف البلاء .

فى عام ألف وتسعمائه وتسع عشرة ميلادية أصاب مصر شدة وكرب حتى ارتفعت أصوات الناس بالشكاية لما أصابهم من ضر .

وكنت فى ذلك الحين ملازما له رضى الله عنه فحين رأى ذلك تأثر كثيراً فراح رضى الله عنه يوما يجمعنى وإخوانى الملازمين له ، فيصلى بنا الصبح . ثم يأخذ بالقنوت؛ ويلح فى الدعاء لمن يجيب المضطر اذا دعاه أن يرفع البلاء ويصرف السوء .

فلم تشرق شمس ذلك اليوم حتى انفرجت الأزمة وأقيلت العثرات وكشفت الغمة فاذا الوجوه بالبشر طافحة . والقلوب بالسرور مفعمة ، والايدى بالخير متصافحة ، والثغور بالابتسامات العذبة مشرقة . وكل ذلك بسبب ما لمسوه من الاشراقات الألهية ، والنفحات الربانية ، وازالة الشدة وحلول الخير . يحصل هذا الخير العميم ، والمصريون لا يعلمون له سببا .

والأروع من ذلك . حين أعلنت دول الكفر فى الغرب الحرب ، وقد توجهت نفوسهم إلى مصر ، وجعلها نقطة الارتكاز للانطلاق منها نحو أهدافهم .

فقد أخبرنا رضى اللهعنه عن المجازر التى ستقع . وعن الضحايا التى ستكثر . بَيْدَ انه رضى الله عنه بشر بأن مصر ستحفظ بإذن الله ، ولا يصيبها إلا ماندَرَ من العرى والجوع . أما أثَرُ الحرب وويلاته من سفك دماء ، وتقويض بناء ، وما شابه ذلك من عطل وضرر ، فانما يصيب الكفار أنفسهم . وكان ذلك كما قال رضى الله عنه . وخرجت مصر من ذلك الجو الرهيب عزيزة الجانب ، موفورة الكرامة بفضل الله ورحمته . وببركة هذا الولى الصالح الذى كان لمصر بفضل الله تعالى حصناً حصيناً وقيت به من شر اعداء دين الله .

هذا وما كاد رضوان الله عليه يجاور رضوان ربه العظيم ، حتى شعرت مصر بتلك الخسارة الجسيمة . ولمس آنئذ الكثير من ذوى العقل والفطانة ، بتغيير الزمن ، وتقلب الأحوال ، وانقلاب الأوضاع . وقلة البركة بين أيدى الناس . وذلك منذ فقدت مصر تلك الجوهرة الثمينة الغالية فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

« بعض كراماته رضى الله عنه »

لئن طاب ذكر شيء من سيرته المباركة منذ نشأته ، وما كان عليه من خير ، فانه ليطيب أيضاً ذكر شيء من كراماته رضى الله عنه ، وما حباه تبارك وتعالى من الكشف والفتح .

بَيْدَ أنى أجد من الخير قبل التحدث عن ذلك أن أقول كلمة موجزة عن الكرامة وأثرها وحقيقتها .

وبعد فلما كانت كرامات شيخنا قدس الله سره حسية ومعنوية كشأن أولياء الله تعالى نفعنا الله بهم . اذكر هنا نبذا من النوعين .

فأولاها ما تقدم ذكره من اكرام الله تعالى له فى بداء امره ، حين زار مع خاله الإمام أبا حنيفة رضى الله عنه ، وقد كشف عنه الغطاء ، وأزيلت الحجب ، ورأى ذلك الإمام العظيم . رآه فى هيئة البرزخية فى عالم الخلود . رآه نوراً على نور ، كأنه الشمس المشرقة . كما كان فى حياته المباركة يشع بعلمه ، وينير به مما حوله .

وثانيها : ما حباه الله تعالى فيها من الحفظ والرعاية والعناية . حدثنى ثقة من اخوانى الصادقين المخلصين ، فقال أن الشيخ رضى الله عنه اعلمه أنه حين كان فى مكة المكرمة ، قصد يوماً غديراً مشهوراً باسم (بركة ماجد) ، وفيه مواطن لزجة خطرة ، قل من قصدها ونجا منها . وكانت جد عميقة . فاراد الاغتسال فيها ، ولم يعلم خطرها ، ومقدار عمقها . وما كاد قدمه يمس الماء حتى شعر بأن يدا تبعده عن ذلك الموطن الخطر حفظاً له من الغرق ، فابتعد عنه ولسانه يلهج بشكر الله عز وجل الذى أغاثه وأنقذه .

هذا وقد اعترف من سمع تلك الحادثة بانها كرامة من الله العظيم حباها هذا الولى الصالح قرة عين له ولأحبابه (١) .

ومن غريب الصدف أن يجرى له أيضاً رضى الله عنه حادثة نظيرها فى مصر وقد حفظه الله تعالى من شرها ووقاه ضررها .

---

(١) أحب هنا أن أذكر قصة لطيفة عجيبة حصلت فى زمن الحرب لحمى شيخنا والد زوجته رضى الله عنه . ملخصها أن حماه توفيق منيب رحمه الله رحمة واسعة كان فى ذلك الوقت مدير محطة مصر الكبرى . وذات يوم كان توفيق منيب فى المحطة ، وكان موعد إعطاء الإشارة للقطار الحديدى بنقر الجرس بعد نصف ساعة تقريباً ، وقد إشتد نعاسه ، فاتكأ على المكتبة قليلا للراحة ، وكان سيدنا الشيخ ومعه مريده عبد الله بك لطفى فى مسجد سيدنا الحسين رضى الله عنه ، وإذا به يناديه بصوت مرتفع (قم يا توفيق .. قم يا توفيق) فتعجب عبد الله بك لطفى وأخرج الساعة من جيبه ، فلما ذهب إلى البيت سأل توفيق أفندى عن القصة وقال: أنا كنت جالساً مع سيدنا الشيخ البغدادى رضى الله عنه فسمعته يقول (قم يا توفيق . . قم يا توفيق) فماذا حصل ؟ فقال له توفيق أفندى كنت جالساً فى المكتب وغلبنى النوم وجاء ميعاد إيقام القطار والقطار لا يقوم ولا يسير إلا بالإشارة منى فلما سمعت نداء سيدى الشيخ رضى الله عنه وأنا فى المكتب نائم قم يا توفيق . . . استيقظت من النوم وأعطيت الإشارة للقطار ، ولو لم يكن أيقظنى سيدى لكان على الجزاء .

وذلك فى جامع بيبرس فى حى الجمالية . وفى مكان ما كاد يقع فى بؤرة موبوءة . لكن العناية الإلهية تدركه إذ ما كاد يطأ بقدمه لعدم انتباهه لها ، وتعثر رجله حتى ثبت واقفا ، كأن يدا خفية أوقفته هادئا ، وفيما هو كذلك يأتيه امام المسجد الشيخ محسن فيقف بجانبه ، ويأخذ بيده رضى الله عنه ، ويبعده عن ذلك الموقف الخطر متعجبا من اكرام الله تعالى للشيخ ، وكيف كان فى تلك اللحظة أمامه ليسعفه فى الانقاذ .

هذا ومن كراماته رضوان الله عليه . لو جاءه مهموم أو محزون لزال ما يشعر به من الغم والإضطراب النفسى بمجرد مكوثه قربه . وسرعان ما يشعر بالفرح والسرور ، والاطمئنان والأنس ، وليس ذلك فحسب . بل أن من لمس شيئا من آثاره رضى الله عنه نال خير ما تصبو اليه نفسه ، واليك هذه الحادثه الطريفة ، وقد أخبرنى بها وشعرت بأنها كانت بمثابة درس تأديبى يدفعنى إلى محبة الشيوخ واحترامهم لأنال حبهم وعطفهم وعنايتهم . وحين أخبرنى بها كنت جالساً بقربه فى مسجد سيدنا الحسين رضى الله عنه . وذلك أمام الباب الموصل للميضأة ، وقد اعتاد الجلوس بقربه قال لى :

جاءنى رجل فقال ياسيدى : أعطنى هذا القفطان الذى عليك ، فقلت له : تعمل فيه ايه ؟ ! قال : البسه . فقلت له : انتظر . ثم خرجت نحو الميضأة فخلعته عن نفسى ، وبقيت متدثراً باللباس والقميص . ولبست فوقهم الجبة ، وعدت اعطى الرجل القفطان فأخذه شاكراً مسروراً وانصرف .

ثم بعد حين كان رضى الله عنه فى زيارة الإمام الشافعى رضى الله عنه ، وبينما هو جالس فى القبة المباركة جاءه رجل ذو هيئة وجمال ، فسلم عليه ثم قال له : أتعرفنى ياسيدى ؟ فقال له : (انت مين ؟ !) قال ، أنا الذى أخذت منك القفطان ، فقال له شيخنا : (عملت به ايه ؟) فقال : ياسيدى أنا كنت موظفاً فى دائرة ، وقائم فى عملى كما ينبغى ، فلم اشعر فى يوم الا وقد صدر امر باخراجى من وظيفتى . وقد سُدِّدَتْ فى وجهى الأبوابَ .

ولما اشتد الأمر بى قام فى ذهنى بأنى إذا لبست شيئاً من ثيابك رجعت إلى وظيفى . وبالفعل قصدتك طالباً منك القفطان قائلا لحضرتك : أنا ما عندى شىء البسه لكى تعطينيه . فما كدت آخذه منك ، وألبسه حتى أكرمنى ربى جل جلاله ببركتكم . ورُدِدْتُ إلى الوظيفة وأنا الآن ولله الحمد والمنة فيها .

أما القفطان فقد طَيَّبْتُهُ ، واحتفظت به ، ووضعته فى دولاب نظيف ، له باب زجاجى ، فاذا ما حصل لى أزمة لبسته متبركاً ، فيفرج الله عنى .

هذا وقد حصل نظير هذه القصة لاحد الإخوان العاطلين عن العمل ، فلما اشتد به الأمر قصد الشيخ رضى الله عنه راجياً منه الدعاء له والتبرك بأثر منه ، يحمله فلعل الله يمن عليه بالرزق الحلال . وادرك شيخنا بغيته ، فأعطاه طاقية وقال له : البسها . فما فعل حتى يسر الله تعالى له أمره ، وفتح له باب الرزق ، وأغدق عليه من النعم ، ما جعله تبارك وتعالى فى عزة وكرامة .

هذا ولئن كان ما يلفت النظرَ والموضوعُ فكونه رضى الله عنه يُسَرُّ كلَّ السرورِ حين يزول الكربُ عن الرجل ، ويفرح له ، ويحمد اللهَ على ما أنعم عليه ، ولا يسمع منه رضى الله عنه كلمةً أو إشارةً فيها مَنٌّ أو غيرَ ذلك مما يشعر بحرج العواطف والشعور .

* * *

وكثيراً ما كانت الأفراد والجماعات يزورونه حبا له رضى الله عنه وثقةً به ورجاء فى ان يكرمهم الله تعالى بتحقيق آمالهم فيما يتوخونه من تفريج الكرب ببركة هذا الولى الصالح ، ويكون من فضل الله ونعمته أن يمن عليهم سبحانه بما يرجونه .

* * *

هذا وما رأيت احداً أخذ منه شيئاً رضى الله عنه على نية خير إلا أعطاه الله تعالى امنيته ، وما جلس رضى الله عنه فى مكان إلا وشعر الحاضرون بالفيض الإلهى يغمرهم ، وبالسكينة والأنوار تعمهم . فضلا عما يلمسونه من السرور وانشراح الصدور ، وازالة الهموم والغموم .

وكذلك الشأن إذا ما نام رضى الله عنه ، فيشعر من حوله كانه انتقل من حياة بؤس واضطراب إلى حياة نعيم وانتعاش وسكون واطمئنان .

وما نزل رضى الله فى بيته إلا عمته الأنوار ، والخير والبركة . سمعت اخانا الصادق المخلص النبيل عبد الله بك لطفى أحد مريدى شيخنا رضى الله عنه يتحدث مرة عن مصروفه بعد نزول الشيخ ومريديه عنده فقال :

منذ تكرم الشيخ بقبول الضيافة عندى ، شعرت بأشياء من الفرح والسرور والاطمئنان والخير والبركة ، لم يكن لى فيها سابق عهد ، حتى ان المصروف الذى كنت انفقته بعد تكرم الشيخ ومريديه بالضيافة ، لم يزدد عن ذى قبل ، بل ربما كان أقل وأخف .

هذا ولم تك ضيوف الشيخ ومريدوه السبعة فحسب ، بل كان هناك ما يربو عن العشرين نفرا يزورون الشيخ مساء كل جمعة ، يتناولون الطعام معاً ، وهم على غاية ما يكون من السرور ، ولم تقتصر الأنوار والبركات على هذه الدار وأربابها ، بل كانت تعم المنطقة حولها ويشعر أهلها انهم دائماً وأبداً فى اعياد تتبدل وتتجدد ، فلا هم ولا غم ولا حزن . بل خير فائض وانشراح صدور وسرور يعم النفوس جميعا .

وكان شيخنا رضى الله تعالى عنه ونفعنا ببركته ، يقول لو نزيد شيئاً يسيراً على هذا الحال ، لترك كلٌّ أَحَدٍ أولادَهُ وأَهْلَهُ ، ولازمنى ولم يفارقنى ، ولكنى أخاف على أولاد الناس حتى ما يتركوا مصالحهم .

هذا ومن كراماته المعنوية رضى الله تعالى عنه . قوة فراسته ، ونفاذ بصيرته فى كل من اجتمع به أو نظر إليه ، فانه قدس الله سره ، لا يكاد ينظر شخصاً ما حتى يدرك حقيقة أمره من أول عمره ويعرف ما انطوت عليه نفسه من خير أو شر ، وما يجول فى نفسه من حديث أو عزم . وذلك لما لمسته فى نفسى وحدثنى به إخوانى الذين أخبرهم الشيخ عن أمورهم الواقعة منهم فَيَعْجَبُونَ مما أَخْبَرَ . وكأنه كان يعيش بينهم ، فيزدادون بذلك حباً وتعلقاً وثقة ، كنت وأنا حديث عهد بمعرفته رضى الله

عنه أصلى الصبح فى مسجد السيدة فاطمة النبوية رضى الله عنها وكانت نفسى تحدثنى لدى استعدادى للوضوء ، بأننى إذا ما انتهى العام الدراسى ، وأديت الامتحان سأقضى وقت الأجازة ، والفرصة فى معية الشيخ فى جامع بيبرس المقيم فيه ، حيث أتشرف بملازمته وخدمته . وكنت أقصد الإمام الشافعى رضى الله عنه يوم الجمعة للزيارة ، فأجد مولانا هناك فألازمه . ثم اذا ما أردت الانصراف فاستأذن منه فاذا به يقول : متسائلا ، متى يكون امتحان هذه السنة ، فأقول فى أول رجب ياسيدى ، فيبتسم ويقول مرة ثانية : متى يأتى رجب ؟ فأتذكر آنئذ حديث نفسى ، وأنتظر رجب بفارغ الصبر ، وأنا أحمد الله تعالى على توفيقه لى بمعرفة الشيخ ، وعنايته بى وعطفه على . وكم كان يجول فى نفسى من الخواطر وكم كان رضى الله عنه ينظر إلى نظرات تشعرنى بانه أدرك ما يكنه فؤادى ، وتحدثنى به نفسى ولقد صدق رضى الله عنه حين سألنى مرة عن بعض الإخوان ، وكان فى سفر بعيد ، فقال لى :(هو دائماً بين نظرى ، وإنْ كان بعيدا ، ونعرف جميع أحواله وما يعمله فى بيته) .

سمعت أخا من كبار إخوانى يحدث مرة عن نفسه ، وما جرى بينه وبين الشيخ فقال : حَدَّثَ الشيخ رضى الله عنهحديثاً فقال (إنَّ الدرويش الحقيقى لا ينام الليل) . وفى ليلة من الليالى رحت أنام فى أولها ، واستيقظ قبيل الفجر . فانتهزتها فرصة للتهجد . ولما توضأت وصليت ما قُدِّرَ لى ، وأذن الصبح ، وأديت فريضته رجعت إلى الفراش ، أنام حتى إذا ما استيقظت صباحاً رحت فى ذلك اليوم لمولانا رضى الله عنه أقول له مازحاً : أنا هذه الليلة يامولاى كنت درويشاً حقيقياً . فقال نفعنا الله ببركته : كيف ؟ قلت له : لانى ما نمت هذه الليلة . فنظر إلى ، وقال : لا . أنت لست بدرويش ، انت نمت هذه الليلة ، وقمت قبل الفجر . فى ساعة كذا ، وتوضأت وصليت كذا ، ثم صليت الفجر ونمت . وهكذا وصف لى قدس الله سره ما حصل لى كأنه كان جالساً معى . وآنئذ اعترفت بالحقيقة . وقلت له بالفعل يامولاى هذا ما حصل لى حقيقة فى هذه الليلة .

ولقد حدثنى ذلك الأخ الصادق عن حادثة جرت له أيضا . وكان لها الأثر العميق فى نفسه ، تدل على غيرة الشيوخ على مريديها . وعلى سلوكهم فى تربيتهم ، التربية السامية والأخلاق النبيلة التى تدفعهم للمحافظة على حسن الثقة ، وعدم التردد فى الشيخ ليستفيدوا وَلْيُحْفَظُوا من التورط والحرمان قال :

صدف أن كنا بمعية الشيخ رضى الله عنه نصلى المغرب جماعة فى مكان ما ، من مسجد سيدنا الحسين رضى الله عنه ، وذلك ليلة النصف من شعبان المعظم . فلما انتهت الفريضة وأخذنا نصلى صلاة الأوابين لفت نظرى شيخ أفغانى نقشبندى جالس فى المسجد . فرحت أدنو منه وأرابطه . وشعرت بفائدة كبرى . ثم أخذت فى مرابطة الشيخ رضى الله عنه . فحصل لى من الفائدة ، والفيض ما شعرت به من الأول . ثم رحت أرابط سيدنا ومولانا الحسين رضى الله تعالى عنه ، فحصل لى والحمد لله فيض عظيم . بيد أنه خطر لى خاطر حدثتنى به نفسى ، ليت شعرى أى الشيخين . أقوى . وأرفع درجة وأسمى مقاما ؟ حصل هذا الخاطر وأنا غارق فى بحر السرور لما لمسته فى تلك الليلة المباركة من الخير والبركة والحبور .

وفى اليوم الثانى أحببت التشرف بزيارة مولانا الشيخ رضى الله عنه . بيد أنى ما كدت استأذن منه حتى رأيت ما أدهشنى ، إذ قابلنى بغير ما عودنى عليه من لطف وإيناس ، إذ هتف بى ، تعال ، أدخل هنا . ثم نظر إلى نظرة غضب وعتاب وقال : انت تقول : ايهما أقوى ؟ أنت وصلت إلى كذا ، انت ما تعرف شيئا ، وأخذ يؤنبنى ، وهنا سقط فى يدى . وندمت على ما فرط منى . وقد سلب ما كان لدى من بركة الطريقة ومددها . ومكث سبع سنين رضى الله عنه لا يكلمنى . ومع ذلك فلم أقطع زيارتى له بل ظللت مواظباً عليها وأمكث بقربه ما أمكث للتبرك به ونيل عطفه بَيْدَ أنه رضى الله عنه إذا وقع نظره على غض الطرف عنى واشتغل بصلاة أو غيرها . ثم يخرج ولا يكلمنى . فَعَزَّ على ذلك . واشتد بى الأمر ، فمرضت مرضا شديدا ، حتى صرت لا أقدر على الحركة . وشعرت باننى قاب قوسين من الموت .

وكانى بالعناية الإلهية تحوطنى باللطف والرأفة ، فاذا باخوانى الذين كانوا يصحبوننى لزيارته دائما . يذهبون يوما اليه ولم أكُ معهم لعدم قدرتى ، ولما ألَمَّ بى من ألم . ولما لم يجدنى رضى الله عنه معهم تكرم بالسؤال عنى فأجابوه . انه مريض ولا يستطيع المشى . فاذا به رضى الله عنه يبشرهم ويطمئنهم . فيحملون البشرى ويهرعون إلى مسرعين جزلين . يعلموننى بما كان من سؤال الشيخ عنى وجوابهم له . ثم تطمينهم عنى وجوابهم له . فرقص قلبى فرحا . وشعرت بأن ماء الحياة تجدد سريانه فى جسدى سريان الماء فى أغصان الشجر . وآنئذ وقد دبَّ فىَّ النشاط نوعا صرت أقصده ، فلما

وصلت إليه ، ودخلت الغرفة تساوى رأسي وصدرى حياءاً منه . فاذا به رضى الله عنه ينظر إلى نظرة الأب الشفيق ، ويبتسم فى وجهى ابتسامة شعرت معها بأن الدنيا كلها تبتسم . ثم توجه بالسؤال قائلا ، أنت مريض ؟ فقلت له : نعم ياسيدى . قال لى : لا . مافى شيء ، أنت تخاف أن تموت ؟ فقلت نعم ياسيدى . قال لا مافى شيء .

فكان مجرد كلامه معى . وبشاشته فى وجهى أذهبا جميع ما كان عندى من ألم وأرجعا لى ما فقدته من السكينة والإطمئنان ولله الحمد والمنة .

واذكر انى شاهدت مرة أخا من كبار رجال القضاء يحدث أمامى طائفة من الموظفين ، فيقول لهم : إنَّ مَنْ رَأَى الشيخَ ، يقول : هذا رسول الله ﷺ خَلْقًا وَخُلُقًا ، أى من رأى الشيخ فكأنه رأى رسول الله أى لِمَا كان رضى الله عنه فيه من شبهه ﷺ فى خَلْقِهِ وخُلُقِهِ ، ثم يذكر حادثة له لمس منها ما ذكرته آنفا من وجود الخير والبركة واضمحلال الوساوس والآلام الطارئة بمجرد الاجتماع به والتحدث اليه ، فقال حصل لى مرة تشويش نفسانى . وخوف شديد . لم أستطع معهما صبرا . فقصدت زيارته رضى الله عنه بعد العشاء .

بيد أنى وجدت الاخوان قد انصرفوا من مجلسه المبارك ، وَعَزَّ علىَّ أن أعود قبل أن اكحل نظرى بمشاهدته ، وأسعد بلقياه ، فأوعزت لخادمه أن يقول له : ان فلاناً جاءك زائراً .

فلم يلبث رضى الله عنه ، ان جاء يطفح وجهه نوراً وجلالا وسرورا فنظر إلى نظرة بر وعطف وكأنى به رضى الله عنه ادرك سر المجيء ، وما فى نفسى من خوف وهلع وتشويش واضطراب ، فيعيد نظره إلى كرة ثانية ؛ ثم يقول : فى إيه ، أنت خائف من إيه (ياالله ما فى شيء) .

وما قال كلمته هذه رضى الله عنه حتى شعرت بأن كل ما كنت ألمسه من خوف وهلع واضطراب اجتذ من أصوله ، إذ كانت كلماته رضى الله عنه (ما فى شيء) بلسماً وشفاءاً لما كنت أشعر به من قبل .

بعد هذا مكثت زمنا ثم استأذنت بالانصراف وقد حصل لى من الأنس والفرح والسرور والسكينة والاطمئنان ما أطلق لسانى بالشكر للعلى الأعلى الذى مَنَّ عَلَىَّ وعلى

مصر بهذا الولى الجليل قدس الله سره ، ونفعنا وذرياتنا والمسلمين ببركته وعطفه رضى الله عنه .

ومن كراماته المعنوية رضى الله عنه ما حباه الله تعالى به من وفور العقل وقوة الهمة ، والنشاط فى العبادة ، والصبر على الشدائد ، وجهاد نفسه . وكذلك من جهاد النفس من رياضها ومحاربتها فيما تشتهيه من لذات الحياة لتمرينها ، وخضوعها لعمل ما يقربها إلى الله عز وجل من طاعة وعبادة .

والحق أقول لم أجد نظيرا له فى زهده فى الدنيا ، والاعراض عن زخرفها ، حتى انه لَيَتْرُكُ الطعام والشراب بضعة أيام ، لا يتناول خلالها شيئاً لتغذية الجسد ، وانما كان مكتفياً بغذاء الروح ، وغذاء روحه كان العبادة على اختلاف أنواعها من صلاة وصيام وتلاوة قرآن وصلاة على النبي ﷺ ، وذكر ومراقبة وتفكر وما ضارع ذلك مما فيه طاعة المولى عز وجل ورضاه .

وليت شعرى . من يستطيع ذلك الا أكابر أولياء الله تعالى وأحبهم اليه عبادة وأقواهم على ذلك جلداً وأثبتهم قلباً وأكثرهم خشوعا ، وخضوعا وتذللا ، إلا ما أجدر من يوفقه البارىءُ عز وجل للإجتماع بهؤلاء الأكابر الذين يرحم الله بهم عباده أن يكون حريصاً أشد الحرص على ملازمتهم ، واتباع سبيلهم ، ان أراد عز الدنيا وسعادة الآخرة . فاللهم زدنا بهم حبا . ومُنَّ علينا بصحبتهم ، والتعرفِ عليهم ، والتأدب بآدابهم ، يا أكرم الأكرمين .

وانني لألمس من تلك الكرامات المعنوية الجديرة بالاعتبار والتقدير تلك الأخلاق العظيمة التى أشار حضرة الرسول ﷺ (انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) . ولقد ضرب فيها رضوان الله عليه بقسط وافر حتى انعكست أضواؤها على مُحيَّاهُ فغدا من رآه هابه ومن عاشره أحبه . ولا بدع فقد كان يحب لله ويبغض لله ، لا يحتقر فقيراً لفقره ، ولا يعظم غنيا لغناه ، انما تتفاوت الناس لديه بحسب تفاوتهم فى التمسك بالدين ومكارم الأخلاق فأقربهم اليه أشدهم تمسكاً بالدين ، وأكثرهم تخلقاً بآدابه ، وأبعدهم عنه الثرثارون البعيدون عن الدين ، المجردون عن خلق الإسلام ، وتعاليم الإسلام وهدى الإسلام .

ولذا كنا نراه رضى الله عنه نحو الأُوَل أكثر ما يكون لهم عطفا وعناية وبرا . أما الآخرون فاكثر ما يكون عنهم بعدا وتجنبا ، ولذا كان يقرب الفقير الصادق الصالح المخلص .

وكان فى جميع حالاته قدس الله سره كما ذكرت يغضب لله ويحب لله ، ولا يخشى فى الحق لومة لائم . ولذا كان رضى الله عنه وأرضاه إذا جاءه المسؤلون فى الحكومة ، فيتكلم معهم بالحق . ويوجههم إلى كل خير . فيعظهم ويرشدهم ، ويدعوهم إلى الله الكريم ، ويذكرهم به جل جلاله ويخوفهم منه تعالى . وكم كانوا يحترمونه ويجلونه ، ويصغون اليه ، وينفذون ما استطاعوا من ارشاده . وكم استفادوا وأفادوا . ألاَ جزاه الله تعالى . خير ما جازى به وليا عن مريديه ومحبيه ، وَطَيَّبَ اللهُ ثراه ، وأنزل عليه شأبيب رحمته ، ونفعنا به ، ولا قطع عنا مدده .

نبذ من كراماته قدس الله سره مع الاطباء

وانى لأبدأها بهذه القصة الطريفة التى حدثنى بها أحدهم وهو من أكابر الأطباء لدينا فى القطر المصرى . قال تواعدت مع فضيلته يوم جمعة أن آتيه بعد صلاة العصر للذهاب بمعيته فنزور الإمام الشافعى رضى الله عنه . بَيْدَ أنى ما كدت أفارق مجلسه المبارك حتى تذكرت ميعاداً بينى وبين والدتى المريضة فى نفس الوقت ، فتحيرت فى أمرى : أى الوعدين أفى . هذا والدى فى عالم الروح . وهذه والدتى فى عالم الأجساد ، ولكل حق مقدس ، ولكن وفاء من أقدم . ومن هو الأحق .

وما زلت فى حيرة حتى جاء وقت العصر ، فأديت الفريضة جماعة ، ثم اذا ما انتهيت ، رأيت الخير فى وفاء الوعد للشيخ ؛ أما الوالدة فقد تتسامح . وقد اعتذر لها وتوكلت على الله . وجئته مسلما ومظهرا الرغبة فى الذهاب بمعيته للامام .

ولكن كم كانت دهشتى عظيمة ، اذ ينظر إلى رضى الله عنه ويلتفت إلى بوجهه كله ويقول ، يافلان ، أنا اليوم لا أذهب لزيارة الامام ، ويجرى إيه إذا لم أذهب ؟ أنا أريد الذهاب الآن للبيت . أريد أن اشترى لابنتى الصغيرة فاكهة طلبتها منى . وقرن القول بالفعل . وخرجنا من المسجد معا وفى طريقنا وقف أمام فاكهانى ، وأمرنى بالانتظار ، فاذا به رضى الله عنه يشترى من الفاكهة التى أريد شرائها لوالدتى والتى

وعدتها أن آتيها بها بعد العصر . ولما رأيته قدس الله سره يشترى منها . انتهزتها فرصة .
وأخذت منها ما أخذت وأحببت أن أدفع ثمن الكل ، لكنه رضى الله عنه أبى لحكمة
لم أعلمها .

ومن ثم توجهنا معا لمنزله المبارك ، فاذا ما بلغناه استأذنت منه رضى الله عنه
بالانصراف فسمح راضيا ، وتابعت سيرى قاصدا والدتى ، فأصل فى الوقت المعين
لزيارتها فتفرح بى .

ولكن ليت شعرى . أى الفريقين منا كان أكثر سرورا وأشد فرحا . أو الدتى
لكونى أتيتها برغبتها فى الفاكهة ، وبحضورى لديها فى الوقت المحدد ، أم انا الذى كنت
وقعت فى حيرة واضطراب . لأقوم بواجب الوفاء فيما وعدت الشيخ أو الوالدة ؟
وكل منهما عزيز على محبب لدى ، لكن الله تعالى . ينقذنى . فأفى بوعدى نحو
الشخصيتين العزيزتين ، إذ يعتذر الشيخ عن زيارة الإمام بشراء الفاكهة لبيته ، كأنه
بذلك رضى الله عنه يحثنى على شرائها ، وعلى قيامى بالواجب نحو والدتى المريضة
لأكسب رضاها ، وفى ذلك اشارة إلى أن ارضاء والدتى والقيام بواجبها ، هو أكثر
خيرا وأعظم أجرا من زيارة الإمام رضى الله عنه . الحقيقة اننى كنت بهذا أكثر
فرحا من والدتى بى ، لأننى بفضل الله تعالى استطعت أن أربح رضاء الاثنين معاً ،
فالحمد لله على كل حال ، وبالجملة فلم أر كالشيخ ذوقاً ونصحاً واخلاصا ، ومعرفة
بأحوال مريديه .

وحدثنا هذا الأخ مرة فقال :

تجدنى أحيانا فى حيرة وتشويش واضطراب ، مما يجعلنى عاجزا عن تصريف
الأمور ، فلا أجد وسيلة تقضى على تلكم الهواجس إلا مثولى أمامه ، وتكحيل عيونى
برؤيته رضى الله عنه .

فاذا ما زرته ، نظر إلى وقال : « فى إيه ؟ ما فى شىء » وبالفعل أرجعُ إلى نفسى
فأجدُها بخير ، وقد زال عنى كل ما كنت اشعر به من تشويش ، فأحمد الله تعالى
على ذلك ، وترانى فى هناء وسرور وفرح .

وكثيرا ما كان يحصل مثل هذا النوع لبعض الناس فسرعان ما يزورونه فيجدون
فيه الطبيب الروحانى الشفيق . الذى ببركة دعائه وتوجهه إلى الله الكريم الفعال لما يريد

بزول ما لديهم من سوء ، يعودون إلى أعمالهم مطمئنين مسرورين ، ولله شاكرين ، ولشيخهم محبين مثنين ، وما زلنا نعد نظره إلى محبيه ، وعطفه عليهم ، واستشفاعه لهم ، واجابة دعائه رضى الله عنه ، كنا نعد هذا كله من كراماته رضى الله عنه ، التى أكرمه الله بها عز وجل .

هذا وذكر لى أخ صادق حادثة ملخصها . كان موظفا لدى شخصية لها مركزها المرموق ، وكان يشتغل عنده باخلاص وامانة ؛ بَيْدَ أَنَّ بعض الموظفين الآخرين دَبَّ الحسد فى صدورهم ، لما كان يحبوه من عطف ، فأغراهم الشيطان ليجعلوه هدفا للأذى ، فراحوا يدسون عليه الدسائس ، ويبالغون فى الوشاية ، ويوغرون فى صدر سيدهم ، ليضمر له البغضاء وعساه يطرده .

أما أخونا فكظم غيظه ، واعتصم بالله تعالى ربه . ثم اخذ يراقب فضيلة الشيخ ويذكره فى نفسه ، وصار لا يقف تجاه صاحبه إلا وقد وضع نصب عينيه الشيخ رضى الله عنه ، ويراقبه مراقبة دقيقة ، كان من أثرها أن الرجل إذا نظر إليه نظر متهللا متوددا .

وكان من لطف الله تعالى ونعمته على هذا الأخ بسبب صدقه ، وحبه لشيخه واخلاصه له أن يكرمه . فيثبته بوظيفته عند الرجل ، ويعطف قلبه عليه ، ويلهمه فيرفع منزلته وراتبه . ثم يعرض عن المشاغبين .

وكم لهذه الحادثة من نظير . ومن الطفها ما حدثنى به أحد كبار الموظفين . أنه كان مرشحا لمنصب رفيع . ونازعه فيه الحاسدون ، ثم راحوا يتآمرون عليه ، فيبتدعون الأكاذيب ، ويضعون فى طريق المنصب العشرات ليناله أحدهم بدله ،

أما اخونا فلم يجد ما يحبط مسعاهم ، ويزيل عقباتهم ويسهل سبيل الوصول لمبتغاه سوى اللجوء إلى الله الكريم ، والتوسل برجال الله المخلصين الصالحين . لذا راح يشكو امره لشيخنا الجليل ، وإذا به رضى الله عنه يطمئنه قائلا : لا تخف . ورقص قلب اخينا فرحا بـ (لا تخف) اذن سيمحق الله الأضاليل . وسيقوض العثرات . وسينصر أحبابه المتوكلين عليه . والمفوضين أمورهم إليه .

وظل الرجل متوجها لمن يجيب المضطر إذا دعاه يسأله التوفيق ، كما ظل مثابراً

على زيارة آل البيت الكرام ، ومترددا على جناب الشيخ . ثم إذا ما آوى إلى فراشه أخذ ينادي يا آل بيت رسول الله . يا أحباب الله ، يا أولياء الله ، يا شيخ محمد أمين البغدادى ، انا محسوب عليكم انا احبكم انا أحب عطفكم ، انا احب عطفكم ، ويظل فى توسله حتى ينام .

وفى ليلة يرى فيها الشيخ رضى الله عنه يطمئنه ويبشره ، ويقول له ، لا تخف ، ثم ان أحد العلماء الأجلاء لَيَرى الشيخَ أيضا فى المنام يأمره بالذهاب إليه ليبشره بالفوز بِـبُغْيَتِـهِ . فيلبى الطاب بَيْدَ انه لم يجد الرجل ، فينتظره ، فاذا ما حضر بلغه الرسالة معلما اياه ما شاهده وأمر به الشيخ من تبليغ هذه البشارة إليه .

ثم لم تمض فترة وجيزة . حتى حقق الله رجاءه . وجاءته الوظيفة بكلمة المسئولين من الرؤساء . لا يصلح إلا لها ولا تصلح إلا له . ثم ظل فيها معززا مكرما مهابا محترما .

وبعد ، فان ما يلفت النظر فى هذه القضايا وما أكثر نظائرها فعلة أولئك المفسدين الحاسدين بالمسئولين ، وتأثيرهم الشديد عليهم حتى غدوا طوع ارادتهم ، بَيْدَ أنَّ قضاياهم جميعها بمن كان له علاقة وارتباط بسيدنا الشيخ رضوان الله عليه فسرعان ما تبوء بالفشل والخيبة والخسران . ثم إنْ كان ما يَسُرُّ فلطفُ الله تعالى باولئك الجماعة الذين نراهم يعودون إلى الحق خاضعين ، ويقضون به لأربابه جزلين إذ تنكشف لهم حقائق الأشياء فلا يسعهم إلا أن يكونوا لله تائبين نادمين . وللحق عائدين مسرعين . وبالخير والهدى فائزين وتبارك رب العالمين يفيضُ الخيرَ على الصالحين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد سيد خلق الله أجمعين .

قصة طبيب

ضمنا ذات ليلة مجلس حافل . وبيننا من أكابر الأطباء حكيم فاضل وفيما كنا نتبادل أطراف الأحاديث عن مناقب الأولياء وكراماتهم ومناقب شيخنا رضوان الله عليهم قال الطبيب : ومن عجيب أمر شيخنا قدس الله سره ، انه يتراآى لكل واحد حسب حالته ومهنته فأنا طبيب جسمانى ظهر لى يوماً رضى الله عنه طبيباً روحانياً واسمحوا لى قبل ذكر ذلك أن اذكر هذه الحادثة التى جرت لى ، لقد كنت . (حكيمباشى) مستشفى سوهاج الحكومى ومرضت مرضا شديدا ولما جاء اخوانى الأطباء يعالجوننى تبين لهم من الفحص ان الدم مسموم . ولما علمت بذلك يئست من الحياة وايقنت بأنى على وشك لقاء رب العالمين جل جلاله .

وآنئذ رحتُ أعِـدُّ الوصية قياما بالواجبِ الشرعي . ثم انتظرتُ وَعْدَ اللهِ تعالى.
فاذا بى فى ليلة أرى فى المنام وأنا مضطجع على سريرى فضيلة شيخنا رضى الله عنه يدخل غرفتى وينظر إلى نظرة عطف وبر ويقول ، انت عملت وصية ؟ نعم يا سيدى ! معتقد انك ستموت من مرضك هذا ؟ نعم يا سيدى . لا لا انت لا تموت منه . ثم رفع يده مشيراً إلى زاوية من اركان الحجرة وقال انظر هنا . ماذا ترى ؟ امتثلت . وقلت . أرى شبحاً طويلا كأنه مارد .

قال الشيخ رُحْ إضْربْهُ .

وبحثت عن شيء اضربه فوجدت حديدة فتناولتها ورحت اضربه بها ضربا مبرحا حتى سقط على أثرها صريعا ولغيظى منه وخشية أن يصيبنى ضرر من عقوبته إذا بقى فى غرفتى تناولته بيدى ثم قذفت به من نافذة الحجرة إلى البحر لانها كانت تشرف عليه .

هذا وما فعلت ذلك حتى استيقظت من النوم فأجد نفسى . وكأننى . والحمد لله فككت من عقال . وقد زال ما بى من الآلام . وكأننى لم اشتك أى أمر من الألم أو المرض .

وليت شعرى ! كم كانت دهشة إخوانى الأطباء رائعةً حين جاؤا صباحاً يعودوننى ولم يجدوا فى جسمى شيئاً من آثار المرض كما لم يجدوا فى الدم بعد فحصه أى أثر للتسمم .

هنا كثرت منهم الأسئلة . ما صنعت ؟ وبم تداويت ؟ ما فعلت ؟ من حكمك من من .. ؟؟؟

فقلت : حسبكم يا هؤلاء أسئلة . وثقوا بأننى ما صنعت ولا فعلت شيئا ما . عَجَبٌ أَمْرُكَ وما كان إذن ؟ .

كل ما فى الحكاية . اشتد الأمر على بالامس فتضرعت إلى الله أسأله الشفاء وتذكرت الشيخ رضى الله عنه ، فتوجهت إلى الله تعالى . على نية الشفاء . واستغثت به قائلا : كنت يا سيدى تأمرنا إذا حصل بنا أمر نذكرك ، وأنا الآن بالرغم من بعد المسافة بيننا اناجيك . فهل انت سامعى ؟ .

هذا ولم ازل كذلك حتى يغلبنى النوم . وذكر الله تعالى يشدو به لسانى ، بينما

فضيلة الشيخ يراقبه القلب ويتصوره النظر . وإذا بى أرى ما أرى . ثم اصبح مستيقظا . فاذا بى والحمد لله كما تشاهدون . ثم بعد ذكره ما تقدم اردف قصه ثانية فقال :

حصل لأحد الاقرباء مرض عضال عز شفاؤه واستئصاله ، وعبثا حاول الأطباء فى معالجته ومداواته ، فقلت : وما ادرانا فقد يكون الشفاء فى الطب الروحانى . ورحت على هذه النية قارئاً الفاتحة لروحانية الشيخ رجاء من الله الكريم ان يمن على مريضنا بالشفاء والعافية . ونمت تلك الليلة متوكلا على الله فى تحقيق الرجاء . وإذا بى أرى فى المنام حضرة الشيخ رضوان الله عليه يدنو منى ثم يشير إلى شجرة بالقرب منى ويقول : عليك بها .

والغريب فى الأمر انى قبل أن استسلم للنوم حدثتنى نفسى أن مرض الرجل جسمانى محسوس يحتاج لعلاج مادى فما تفيد الروحانيات ثم انام .

هذا ولما أشار إلىَّ رضوان الله عليه بأن اتسلقها . امتثلت وتسلقت فاذا بى أجد هيأتها كمخ الإنسان وإذا بالشيخ يشير إلى فرع منها ان انظره وأدلكه .

هنا تجلى الموضوع وفهمت من تلك الحركة نوع مرض قريبنا ومادة علاجه ، ثم أَسْتَيْقظُ فَرحاً فَأَصْنَعُ له العلاج وأقدمه له وما كاد يتناوله حتى كتب الله تعالى له الشفاء العاجل بعد أن عجز الأطباء عن معالجته .

هذا ولم اكتم الأمر عن المريض فأخبرته أن علاجه كَشَفْتُ حقيقَتَهُ ببركةِ التوسلِ بمولانا الشيخ الذى أشار لى إليه . وكان باذن الله فيه الشفاء .

وهكذا يتبين لنا ما قلت من أنه رضوان الله عليه يترآى لقاصده حسب حاله ومهنته ، فانا كطبيب جسمانى ترآى لى رضى الله عنه طبيباً روحانياً وجسمانياً معاً . نفعنا الله تعالى به .

* * *

وعلى ذكر ما تحدث به الحكيم من كلمة شيخنا رضى الله عنه (أُذْكُرونى) ، أقول ومن مكارم اخلاقه رضوان الله عليه وعطفه على مريديه وأحبابه تلبيته من استغاث منهم بربه وتوسل به إليه . وكثيراً ما قال رضى الله عنه هذه الكلمة لمريديه المخلصين ومن فضل الله تعالى ما أضاب احداً منهم شدةٌ وتذكره وتوسل به إلى الله إلا ونال بذلك خيراً .

ومن لطائف ذلك ما ذكره لى أحد اخواننا العلماء من مدينة بيروت وكان من محبي الشيخ ومريديه ، قال : بعد أن نال الأجازة من الأزهر الشريف عام ١٩٣٣ وعزم على زيارة وطنه قصد فضيلة الشيخ فى مسجد بيبرس ليستأذنه . ويودعه . وآنئذ همس الشيخ فى اذنه قائلا (أذكرونا نذكركم) .

بَيْدَ أنه لم يعط هذه الوصية اهتمامه بادىء ذى بدء لشدة تأثره من وداع الشيخ ، إذ كان بوده العودة إلى مصر لكن الشيخ اشار إليه بعدم العودة إذ قال له : (إذا رغب اليك البقاء فى بيروت فلا تعارض واذكرونى أذكركم) لذا تأثر كثيراً . لكنه ما كاد يفارق الخلوة حتى تذكر الوصية ، فأخذ فى المراقبة معتقداً ان امراً ما سيكون ولكن ما هو ؟ سلم الأمر إلى الله ثم هيأ نفسه للسفر .

وترك مصر وسار بسم الله متكلا على الله نحو وطنه عن طريق فلسطين فاذا ما بلغ حيفا استأجر سيارة تقله إلى مدينة بيروت ووصية اذكرونى لا يزال ايقاعها فى اذنه بل فى روحه ولما اشرف على الحدود اللبنانية ابصر على قارعة الطريق رجلا تبدو عليه آثار التعب والفقر . يرفع يديه إلى السائق مشيراً إليه بالوقوف . فوقف ودنا منه واخذ يستعطفه ويرجوه حمله فى السيارة ليوصله إلى بيروت لأنه لم يعد باستطاعته أن يخطو خطوة لما به من ألم وتعب ثم أخبره بأنه لم يوجد لديه أيضا شيء من الدراهم البتة . فليجعلها فى سبيل الله .

واحب السائق تلبيته بَيْدَ أنه لا يوجد له مكان فى السيارة لاستيعابها الركاب وأدرك الرجل تحيره . فقال لا بأس . أتمتطى بالسيارة كيفما جرى الحال ولو بين اقدام المسافرين .

والتفت السائق إلينا كأنه يريد استشارتنا فى الموضوع فلما ابدينا التساهل سأله مرة ثانية هل لديك جواز سفر . فأجابه بالسلب فقال السائق ، لا أستطيع يا أخى حمل هذه المسئولية فان أمامنا قوى الأمن فاذا شاهدتك تحملنى من الأمر ما لا أطيق .

وهنا ادركت السر فى (اذكرونى) فاستغثت بشيخنا رضى الله عنه فى سرى وناديته المدد ، ثم توجهت نحو السائق قائلا دعه وتوكل على الله . وكن على ثقة بأن الله تعالى سيعمى عنه الأبصار . ولست بأكرم من الله القائل ، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره والله تعالى أعظم من أن يجازيك على خيرك شراً .

ونظر إلى نظرة أدركت منها ما يجرى فى نفسه من معان وأفكار . وهنا صعد الرجل إلى السيارة ، بَيْدَ انها ما كادت عجلاتها تدور ناهبة الأرض حتى ابصرنا من بعد نفراً من قوى الأمن على خيولهم يترصدون المارة . هنا أخذ السائق غطاءاً وألقاه على الرجل وقد تمدد بين الأقدام وعز ذلك على إذ خشيت على الرجل الضرر وشعرت بان جسمى أوقد ناراً وتذكرت الشيخ رضوان الله عليه وخلته أمامى فاذا بى أضع يدى على الغطاء حتى أنزعه عن الرجل ليتنفس ويأخذ قسطاً من الراحة بَيْدَ أنى ما كدت أفعل وأضع يدى حتى بلغنا الجند وكان بيننا وبينهم قاب قوسين فاضطرب السائق وخاف خوفاً شديداً إذ هتف أحدهم : قف ! وفيما هو يستعد للوقوف صرخ جندى آخر (ايش معكم يا شباب ؟) جرى كل هذا ويدى لما تزل على الغطاء لنزعه وهنا ينطقنى الله وأنا اتصور فضيلة الشيخ بيننا فأقول له معنا شىء مهرب . تعال انظر . وينظر الجند إلينا مبتسمين بينما الجندى السائل يقول ، أنها لنكتة جميلة شىء مهرب . وتعال انظر ومثلكم من يهرب ! اذهب يا عم مع السلامة الله معكم .

ويستأنف السائق السير وقد ذهل لما كان وسألنى ما رأيك لو اتممت فعلتك بكشف الغطاء فأقسمت له بأنهم لا يرونه ولم يدر السر فى ذلك وهذا أول ما ادركته من بركة اذكرونى ، ولا تسل بعدها عن تجدد قوة محبة الشيخ فى قلوبنا وعظم الثقة به رضى الله عنه ونفعنا به وببركة توجهه فى الدارين .

حقا لا ينال من راقب وذكر إلا الخير والبشر والبركة .

ومرة ثانية اقول ، بمناسبة كلمة الحكيم أن الشيخ رضوان الله عليه يظهر للمرء حسب حاله ورغبته ما حدثنى به الأخ البيروتى صاحب الحادثة المتقدمة واسمه محمد عمر سوبرة قال : صليت يوما العصر وراء الشيخ بمسجد بيبرس فلما انتهت الصلاة أقبل إليه فضيلة الشيخ على المعداوى يسلم عليه ويصافحه وقد افتر ثغر كل منهما عن ابتسامة عذبة . ثم إن الشيخ رضوان الله عليه يلتفت نحو الناس بوجهه المشرق فيقع نظره عَلَىّ وهو لم يزل مبتسما . ويقسم البيروتى بأنه شعر أثرها بفيض من السرور يغمر فؤاده ، بتلك النظرة والابتسامة وتمنى لو ظل الشيخان طويلا فى هذا الموقف المبارك الأخاذ لما لمس من الأنس والسرور ، ولا بدع ، فقطب الشريعة يصافح قطب الحقيقة والشريعة ، وكل باسم الثغر متلألأ الجبين ، نير الوجه طاهر القلب صافى السريرة ، فأى

جمال أحسن منظرا وأروع جمالا وجلالا من منظر اجتماع الشريعة والحقيقة فى شخصيتين جليلتين .

ثم يقول الأخ ما وددت شيئاً ما وددته من تلاقى الشيخين لأنعم بهذا المنظر المبارك ، ثم قال ولئن فاتنى منظرهما لأرى وجه شيخى مبتسما فلن يفوتنى ان أراه وحده كذلك .

وراح فى اليوم الثانى إلى المسجد ليصلى وراءه العصر ثم يدخل سائلا الخاطر عله يمتع نظره به وهو يبتسم رضى الله عنه . وبالفعل استأذن ودخل الخلوة وتبرك بتقبيل يده الطاهرة المباركة ثم جلس متربعا صامتا . ينظر إلى الشيخ وهو يذكر الله تعالى مطرقا .

فاذا ما رفع الشيخ رأسه اطرق اخونا وقد تساوى رأسه إلى صدره حياءاً منه وتكررت الحركة ثم حكم النظر فابتسم الشيخ ابتسامة شعر اخونا معها بأن الدنيا كلها تبتسم لابتسامته رضى الله عنه فاهتز من السرور اهتزاز بلابل الروض على افنان الدوح ، وشعر بأن جميع جسمه وروحه فى ابتسامة اوشكت أن تنفجر عن قهقهه داوية . وآنئذ لم يملك نفسه ولم يستطع صبراً فى الجلوس بما لمس من فيض السرور الذى غمر فؤاده وروحه فاستأذن بالانصراف ثم خرج من الخلوة وقد نال من رؤية الشيخ ما ناله مما تاقت إليه نفسه من رؤية الأولياء ، ومجالستهم حتى انه ليعجز عن وصف ما دار فى ذهنه وشعر فى قلبه مما يفاض على المرء ببركتهم ومايشعر به من معان سامية لا يكاد المرء يتحدث بها لدقة التصوير وعجز البيان .

هذا ومن غريب ما حدثنى به الأخ مما جرى له مع الشيخ رضوان الله عليه هذه القصة الرائعة قال :

زارنا يوما فى مدينتنا بيروت فضيلة الشيخ أبو الخير الميدانى من علماء دمشق الأفاضل . وهو شيخ جليل ومن شيوخ الطريقة العلية النقشبندية يعلوه المهابة والجمال والجلال . لا سيما وقد رأيت فيه ما رأيت من سمات شيخنا رضى الله عنه تعالى . كذلك رحت احدق به كثيرا لما وجدت من شبه شيخنا حتى لكأنى وأنا انظر إليه انظر إلى شيخنا رضى الله عنه .

هذا وفيما انا فيما ذكر . خطر لى خاطر . هتف به نفسى فى سرى فقلت سبحان الله لا تزال شيوخ هذه الطريقة العلية يترقون سلم الكمال حتى تصير هيأة وجهوهم كهيئة وجه أبى بكر الصديق رضى الله عنه ثم تترقى مرة ثانية فاذا بها كوجه النبى صلى الله عليه وسلم .

وفى تلك الليلة أو التى بعدها ، أرى فى المنام مولانا الشيخ رضوان الله تعالى عليه . جالسا فى منزلى وأنا بقربه . ويلتفت إلى قائلا : يا شيخ محمد عمر . فقلت نعم يا مولاى. فقال (ان ما حدثتك به نفسك هو تمام) ثم وقف وقال اتبعنى وسار فى البيت نحو الشرق وقد أمسك يدى اليمنى بيده اليسرى وسرت معه وأنا امشى عن يساره متأخراً قليلا . ثم وقف نحو نافذة أخذ يتطلع منها نحو الشمال والشرق والقبلة ، ثم قال لى : ما أصنع ؟ الآن كان عندك رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد احببت ان تنظر إلى وجهى ووجهه صلى الله عليه وسلم . أى حتى حقق ما حدثتنى به نفسى ، سراً وباليقظة ، وقد حققه لى مناما ، فالله أكبر ولله الحمد والمنه على ما تكرم به علينا وأولادنا ونرجو الله الكريم أن يرحمنا بهم وينفعنا ببركتهم ولا يقطع عنا مددهم وان يحشرنا فى زمرتهم وهو جل جلاله راض عنا بجاه رسوله وبركة اتباعه وأولياء الله الكرام .

أعود قائلا : كما استفاد منه الناس حال الحياة كذلك الشأن بعد انتقاله رضوان الله عليه لجوار ربه الكريم .

لقد حدثنى أحد اخواننا المترددين عليه وكان من أكابر الأطباء ، ان ابنة له عزيزة عليه أصابها مرض عسر ارتفعت به حرارة الحمى لدرجة انذرت بالخطر فخشى عليها وقد علم أنها غدت قاب قوسين من الهلاك فامتلأ قلبه رعبا وتحير فى أمره وقد انتظر الساعة الرهيبة فاذا به فى ليلة رقد فيها مضطرب النفس يرى فى المنام مولانا الشيخ رضى الله عنه يشير إليه بما فيه شفاؤها ، فيستيقظ فرحا مسرورا ، ثم يروح يهيىء لها ما أشار إليه الشيخ من العلاج ومن فضل الله تعالى ما كادت تتناوله حتى مَن الله عليها بالشفاء . فشعرت بالعافية تدب فيها والنشاط يعود إليها وإذا بها والعائلة ألسنة شكر لله على ما أنعم ومدح وثناء وترحم على من كان الخير على يديه .

هذا ولأخ آخر ولد لم يكن سواه بين بضع بنات . أصابه مرض اشتدت به الحرارة يوما وجاوزت الأربعين . فطار عقل الرجل هلعاً ولا بدع فانه فلذة كبده

وقرة عينه . لقد وضع عليه الثلج كما أشار عليه إخوانه الاطباء . ولكن ما فائدة الثلج ؟ .

اذن ما يصنع وإلى من يلجأ لاغاثة ولده وانتشاله من خطر الموت ، وبمن يتوسل لربه عساه يمنحه ولده وينقذه مما هو فيه من خطر . إنه الشيخ ، الشيخ محمد أمين البغدادى . الذى ينكر آل بيت الرجل عليه صحبته له وكثرة التردد عليه ولكن اخانا لم يعبأ باعتراضاتهم الناتجة عن جهلهم بالشيخ ومنزلته . وكأنى به أراد اعلامهم بخطأهم وان للأولياء كرامة وان لهم حرمة ولا يشهد المرء الكرامة إلا إذا اثبت لهم الحرمة . وان من كراماتهم تفريج كرب مريديهم ومحبيهم لهم ، فسرعان ما راح يقصده راجياً التكرم منه بزيارته فلعل يده المباركة حين يمرها على ولده وفلذه كبدة يزول السوء ويتحقق الامل .

ولبى الشيخ رضوان الله عليه رغبته ، فذهب وذهبنا معه ، ودخل الشيخ غرفة المريض . وما كاد يجلس حتى وضع يده المباركة عليه تالياً ما يتيسر له من كلام الله عز وجل ، فاذا بالعرق يتصبب من جبينه وإذا بالحرارة تأخذ بالهبوط وإذا بالنشاط يعود إليه بالتدريج . وفيما هو كذلك إذا بأمه التى كانت تترصد حركات ولدها تشاهد هذا التغيير والتبديل وتلمس ما شعر به ولدها من النشاط والازدهار تهرول منادية والده ان اقبل ويشتد بالرجل الخوف ظناً ان سوءاً الم بولده . لكنها تعلمه ان المرض زال وان الولد أخذ فى الشفاء بمجرد ان وضع الشيخ يده المباركة ، وان الولد الآن غارقاً فى عرقه والنشاط باد على محياه .

ومن ثم ما زالوا بالشيخ حتى تكرم باجابة دعوتهم إلى تناول الطعام اظهاراً لشكر الله تعالى الذى انقذ ولدهم وحباه الصحة والعافية والحياة ببركة هذا الولى الجليل رضى الله تعالى عنه وارضاه ونفعنا ببركته فى الدنيا والآخرة .

هذا ، ومما يجدر ذكره ويحلو بيانه ، ما اخبرنى به أحد اخوانى الصادقين . فقال ، وهبه الله تعالى ابنة . وكانت منذ ولادتها كثيرة البكاء لا تسكت ليل نهار ، حتى تضجر منها الجيران . وعز ذلك على الوالدين . بَيْدَ أَنَّ الوالد وهو من اتباع الشيخ رضى الله عنه قصده راجياً زيارته فلبى رغبته ودخل منزله وآنئذ شَرَحَ حَالَ الْبُنَيَّة .

هنا يأمر رضى الله عنه باستحضارها . ولما نفذ امره نظر إليها نظرة ثم نفخ عليها

نفخة لم تلبث أثرهما ان بدل الله تعالى حالها . فاذا هى فرحة مسرورة هادئة لعوبة طروبة . ولم تزل فى هنائها وسرورها . والحمد لله .

هذا وكما استفاد الكثير من تطبيب الأجساد استفاد الكثير أيضاً بتطبيب الأرواح ، من ذلك ما ذكره أحد اخوانى الأطباء قال دخلت يوماً العيادة فتاة وامها للمعالجة . وقد يكون لهما نية الاتصال الجنسى به كما لحظ منهما ذلك ثم ما كادا يخرجان حتى شعر بالميل إليهما والعطف عليهما . بَيْدَ أَنَّهُ عز عليه تلبية رغائب نفسه الامارة . لا سيما وانه تعرف للشيخ وله زوجة وبنون .

وكأنى به وقد عز عليه أيضا جهاد نفسه . فتحير . قال أخيرا . ان لم تنفعنى صحبة الشيخ ولم استفد من بركته ما يذهب عنى ما اكابده من الوجد نحو الفتاتين فلا صحبته ابدا .

وفى ليلة يرى فى المنام شيئاً فى عيادته يلتهب نارا . فكرب كرباً شديداً خاف من حدوث ضرر . ثم رأى حضرة الشيخ فاخذ يشكو له امره ، ثم استيقظ ولكن على أية حالة ؟

وجد نفسه خلى البال ، بارد القلب . غير شاعر باى عاطفة أو ميل نحو الفتاتين فيشكر الله على ما تكرم به عليه من الحفظ ببركة وسيلة وشفاعة هذا الولى الصالح الجليل .

وبالجملة . فلم أجد اخا من الاخوان صدق اللهجة فى محبة الشيخ ، وحسن اعتقاده بصلاحه وتقواه . وبقربه من ربه ، بسبب طاعته وجهاد نفسه ابتغاء مرضاة الرحمن إلا وقد استفاد ولقى منه ما أحب .

إلا ، وأن كثيرا من الناس تعلقت قلوبهم بمحبته لما لمسوه من الكرامات الحسية والمعنوية وكم كان يأخذ بالبابهم حين يحدثهم رضى الله تعالى عنه عما جرى لهم فى حياتهم من أمور لم يستطيعوا انكارها إذ كان يسردها لهم كما هى كأنه كان يعيش معهم . وهذا ، ما زادهم به حبا وتعلقا ولابدع فالله عز وجل يقول فى محكم آياته .

« وَالذين جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ، وإِنَّ اللهَ لمع المحسنين » .

ولقد كان والله مجاهداً ، كما كان رضى الله عنه محسناً .

كان مجاهدا فى نفسه وفى الاصلاح ، وكان محسنا لنفسه بطاعته ربه وإلى الناس بهديهم وارشادهم ونفعهم .

لقد كان رضى الله عنه ، ولياً لله حقاً ، كنا نجد فيه قطب الوجود وغوث الورى ، امام العارفين ، واتقى الطائعين وابر المسلمين وأزهد المخلصين واعرف العالمين . رضى الله تعالى عنه وارضاه ونفعنا ببركته ولا قطع عنا مدده وجازاه الله تعالى عن كل من عرفه ونال منه خيرا خير ما جازى به وليا صالحا عن أحبابه .

وبعد ، فهذا القليل القليل من الكثير الكثير من كرامات حضرة الشيخ رضى الله تعالى عنه وارضاه نكتفى بذكر ما تقدم والله الهادى إلى سواء السبيل .

« شيخنا ومصر »

سبق ان ذكرت فيما تقدم ان شيخنا رضى الله تعالى عنه جاء مصر فى السنة الرابعة عشرة ميلادية ، وأزيد هنا ان ذلك كان فى بدء الحرب الأولى العالمية الملقبة بالعظمى والتى بسببها أصاب الكثير من البلاد والعباد الضرر .

بَيْدَ أَنَّ مصر الحبيبة كانت ولله الحمد فى ذلك الوقت فى لطف إذ وقاها البارىء عز وجل من عوادى السوء ، وجعلها فى أمان واطمئنان ببركة من أصابها اشعاع بركته فكانت بذلك اخف البلاد عبئاً من ويلات الحرب ومضارها .

نعم دخل رضى الله عنه مصر عزيزاً مكرماً وكان أكثر عكوفه فى بيوت الله مشغولا بطاعة الله تعالى وعبادته لا يفتر عن الصلاة والذكر وتلاوة القرآن والمراقبة ، غير مكترث بزينة الحياة وزخرفها قانعاً بما حباه الله تعالى من انشراح صدره للعبادة والطاعة على اختلاف الوانها .

وكان رضى الله عنه يعشق العزلة والانفراد عن الخلق لما كان يشعر بالأنس والسكينة والاطمئنان بالذكر والمراقبة وكانى بالعناية الالهية تأبى إلا بروز هذه الشخصية المباركة وظهور فضلها ليؤنس بها وينتفع منها . فاذا بمصر وبمن يزور مصر يزحف نحوه ملتمساً بركته راجياً دعاءه راغباً التقرب منه . وكم هم الذين تشرفوا بمعرفته واخذوا عنه الطريقة واستفادوا وأفادوا .

« زواجه رضوان الله عليه »

ومر حين وهو فى مصر كالبدر بين النجوم يشع نورا وهداية وخيراً وبركة إلى أن جاء يوم اخذنا نفكر فى أن الشيخ الكامل لابد أن يكون قائماً بسنة سيدنا رسول الله فى الزواج . اسوة به صلى الله عليه وسلم وتنفيذاً لوصيته لأمته تزوجوا الودود الولود فانى اباهى بكم الانبياء يوم القيامة .

ولكن ليت شعرى ، من هى هذه الفتاة السعيدة التى سيكون لها شرف الاقتران به . ومن هى هذه العائلة التى سينالها هذا الحظوة ، وهل بيننا من هو كُفْؤٌ له؟ نعم هناك عائلة كريمة بينها فتاة طاهرة عفيفة تقية نقية ، ترعاها جدة حجازية كريمة الأصل شريفة المحتد ربتها مع والديها تربية شريفة صالحة فنشأت على غير طراز من اترابها شبت وترعرعت على حب الله تعالى ورسوله حباً جعلها لا تعرف إلا الصلاة والصيام وقراءة القرآن الكريم ودلائل الخيرات . ولم تعرف ما يعرفه الكثير من أمثالها من النزهة والفسح ومتع النفس ، انما كان لها نصيب من خروج بيتها فهو لصلة الرحم وزيارة الاقرباء بصحبة والديها . وفى ذلك كله انسها وسرورها .

حدثنا زوج خالتها حضرة الأخ عبد الله بك مرة عنها فقال ، لا تأتى لزيارتنا يوماً إلا وهى صائمة وكم كان يغبطها على هذه النعمة التى حباها الله تعالى . وليت شعرى أية نعمة لمثلها ، اسمى مقاماً وارفع درجة واعلى منزلة . من نعمة توفيق الله تعالى لعبده من زهده فى الدنيا وحبه للآخرة وتعلق قلبه بحب الله ورسوله والعمل فيما يرضيهما . أضف إلى ذلك العفة وعلو الهمة والجود ، اما والدها فهو الاخ المفضال السيد توفيق منيب رحمه الله رحمة واسعة الذى كان موظفا كبيرا فى السكة الحديدية ، وكان شيخنا قدس الله سره مقيما عنده فى المنزل .

ولما كان السيد توفيق رحمه الله من أكابر احبابه واتباعه . احب ان ينال شرف المصاهرة وقد وجد أن ابنته كفؤ له ، كما أنه لم يجد لها من هو اشرف واكرم وأفضل من هذا الولى الجليل زوجا عفيفا تقيا نقيا برا شهما نبيلا . لذلك راح يعرض الأمر عليه ملتمسا القبول والرضا .

بيد أن الشيخ رضى الله تعالى عنه يطلب منه التريث فى الأمر . إذ رأى الخير فى

الأمر الاستخارة . فلما اجراها رأى الأمر منجزا . وحدثنى رضوان الله عليه حين استخار ، رأى فى المنام ملاكا كريما على الله تعالى ، يعطيه صورة ملفوفة بقطعة حرير خضراء . قائلا له : خذ هذه زوجتك .

ومع أنها كانت تقوم بشأن خدمته لم يعرف لها هيأة وجه إلا بعد عقد القران فوجدها كالصورة . هذا ولما تم الأمر . حضر أكابر العلماء لاجراء العقد وكان فى طليعتهم من مريديه واتباعه أصحاب الفضيلة مفتى الديار المصرية والقضاة الشرعيون وسواهم من عيون البلد . وحين عقد له ، كان له من العمر الميمون ستون عاما . وكان زواجه عيدا لمصر جلب لها الهناء والسرور وكان من فضل الله تعالى ، ان رزقهم الله تعالى ثلاثة ذكور . وانثى واحدة . وهى السيدة فاطمة وهى أكبر أولاده ، أما الذكور : فهم : السيد عمر ، السيد عثمان ، السيد محمد بهاء الدين . وكانت نعمة الذرية الصالحة إذ كانت عقبا مباركا ميمونا لمصر وأهل مصر .

« انتقاله للرفيق الأعلى رضى الله عنه »

وما زال رضوان الله عليه منذ نشأته إلى زواجه ، مجداً مجتهداً فى طاعة الله عز وجل وهداية الناس ونفعهم ، ولقد عشنا معه حينا من الدهر ولم نشاهد منه رضى الله عنه إلا ما يزيدنا فيه حبا وثقة وتعلقا ، كيف لا ، ومنذ تعرفنا عليه ونحن لم نبصر منه رضوان الله عليه إلا الطاعة اناء الليل وأطراف النهار والاخلاص ونفع الناس وارشادهم وحب الخير والسعادة التامة .

ولقد كان رضى الله عنه كما أشرت لا يخشى فى الله لومة لائم . ينصر الحق ، ويدحض الباطل ويعين ذا الجاه ويعظ الناس وإذا ما رآه الناس رأوا بدراً منيراً . خلقا وهداية . وما زلنا فى خير بمعيته نتمتع برؤياه ونغذى أرواحنا وقلوبنا وعقولنا بما نلمسه من مدده وعذوبة منطقه وجميل مواعظه وجايل حكمه رضى الله عنه ، المؤثرة فى القلوب والعقول حتى فاجأنا أمر من لا راد لما قضاه . وذلك مساء يوم الجمعة المبارك الواقع فى السابع عشرة من ذى الحجة عام ١٣٥٨ ﻫ فى ذلك اليوم استيقظ رضى الله تعالى عنه كعادته قبل الصبح ثم لما حان وقته أدى فريضته واغتسل غسل الجمعة وذهب كعادته إلى مسجد بيبرس . فى الجمالية وقد اعتاد رضوان الله

عليه المكوث فيه . وصلى فيه الجمعة والظهر ثم العصر ثم خرج لزيارة الامام الشافعى رضوان الله عليه كعادته كل جمعة . وبعد أن مكث فيه وسمع تلاوة القرآن الكريم خرج قاصداً زيارة السيدة سكينة رضى الله تعالى عنها وصلى المغرب ثم قصد منزل الأخ الصالح الشيخ أحمد مرسى مرافقه الخاص لحضور عقد قرانه وكان منزله قريبا من مسجد السيدة ومن ثم عاد رضى الله عنه إلى منزله المبارك فى العباسية .

وكان يصحبه رضوان الله عليه بعض الاخوان المحبين المخلصين ، وقد وصل إليه وقت العشاء فسأل رضى الله عنه فيما إذا وجب أم لا فلما علم دخول الوقت صلى بنا الفريضة ثم صلينا السنة ، . ثم بدأ الأخ الشيخ أحمد مرسى يقرأ كعادته ما تيسر من الأحاديث الشريفة التى رواها الإمام البخـــارى رضى الله عنه ولما إنتهى أخذ الشيخ محمد رفعت رحمه الله تعالى يتلو من كتاب الله عز وجل سورة النجم ، حتى إذا وصل إلى قوله تبارك وتعالى « ثم دنا فتدلى » ، وبلغ « ما زاغ البصر وما طغى ، لقد رأى من آيات ربه الكبرى » التفت قدس الله سره إلى الشيخ رفعت وقال له (كررها يا شيخ رفعت كررها) ونفذ الشيخ رغبته ورددها حسب القراءات .

هذا ولما انتهى الشيخ من القراءة أخذ اخونا المفضال الشيخ محمد مروان بك يسأل حضرة الشيخ رضى الله عنه عن أرواح الشهداء ، وعالم المثال والشيخ رضوان الله عليه يجيبه حسب اسئلته وفيما هو كذلك . لاحظ الاخوان أنه رضوان الله عليه . يغيب بعض الشيء . ثم يتيقظ ويتمم حديثه ثم يعود إلى الغيبوبة وانقطاع الحديث .

وظن الحاضرون ان هذه البادرة ناشئة عما ناله رضى الله تعالى عنه فى هذا النهار من التعب وانه من كرم اخلاقه لم يستأذن للراحة . لذا بادر بعض الإخوان فى الانصراف وبقى البعض منتظرين قيامه ليمتعوا أبصارهم وبصائرهم قبل ذهابهم .

لكن الشيخ لم يقم كعادته بل ظل جالسا مكانه وآثار التعب بادية على محياه ، ولقد حاول ان يقوم ولكن عبثا . وهنا أخذ الاخوان يحدقون به . وكم كانت دهشتهم عظيمة ومفاجأتهم رهيبة مؤلمة حين رأوا الشيخ رضى الله عنه وأرضاه يرتل « قول الله عز وجل قيل ادخل الجنة قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين » . ثم يطبق شفتيه ويغمض عينيه ثم نبحث عنه فنجده يشهق شهقة اختار أثرها الرفيق الأعلى .

ولم نصدق فى بدء الامر ان الفراق حصل . انما ذهب ظننا مراقبة ، أو انها غيبوبة الأولياء ولم نؤمن بالانتقال إلى جوار الله عز وجل إلا حين جاء من يوثق بكلامه من أكابر الأطباء ، يقول بعد فحصه . قضى الأمر ، ونفذ وعد الله .

ولو ألقى أحد ما نظرة على من كان بقرب الشيخ ، لظن أنهم من هول الموقف وأثره انهم سكارى وما هم كذلك ولكن الخطب عظيم والراحل الحبيب جليل . وحسبنا الله ونعم الوكيل .

والغريب فى الأمر أن الطبيب نفسه الذى أخذ يعاينه قال : ولم يكد يصدق بالانتقال من جمال المنظر والحيوية المتدفقة والنور الساطع ، والهيبة والجلال . قال شاهدت محتضرين وامواتا كثيرا وكان يحصل لى انقباض . بَيْدَ أَنِّى هنا لم أجد شيئا من ذلك . ومع شدة ألمى على انتقال الشيخ قدس الله سره اشعر بانشراح الصدر وسرور النفس ولعل ذلك بما لفضيلة الشيخ رضوان الله عليه من المنزلة الكريمة لدى ربه عز وجل التى اشار إليها حين ودع هذا الكون بقوله : (قيل ادخل الجنة . قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين) كَأَنَّا به قدس الله سره يشعرنا وهو يدخل أبواب الأبدية ما اعد الله له من الكرامة فى دار الخلود . ودفن فى جبانه باب الوزير قرب الدراسة بالقاهرة وفى يوم الأحد ١٥ جمادى الآخر عام ١٨٣٥ الموافق ١٠ اكتوبر سنة ١٩٦٥ نقل جثمانه رضى الله عنه لمسجد بيبرس بشارع الجمالية وكان رضى الله عنه قد أشار إلى هذا المكان قبل وفاته وقال : « أنا أحب أن أكون هنا » فحقق الله له ما أراد بعد خمسة وعشرين عاماً من انتقاله قدس الله سره .

ألا أكرم الله نزله ورفع درجته وجزاه عنا خير ما جازى به عبدا صالحا عن أهل زمانه وأوانه والحقنا بزمرته ونفعنا ببركته ولا انقطع عنا رضاه وصلته ومدده آمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

إلا ، مدد ، مدد ، مدد يا سيدنا يا محمد أمين يا بغدادي ، مدد وسلام الله عليك فى الأولين وسلام الله عليك فى الآخرين وسلام الله يوم نلتقى بك بين يدى رب العالمين وسلام الله علينا وعليك وعلى أمة محمد وآل محمد وأصحاب محمد وعلى خاتم انبيائه ورسله سيدنا محمد فسلام من السلام فى دار السلام إلى أبد الابدين والحمد لله رب العالمين . .

نفحات الهادى فى مدح امام العارفين

السيد محمد أمين البغدادى

رضى الله عنه

نظم المغفــور له

الحاج عبد القادر عاشور

المفتش العام للخط العربى بوزارة التربية والتعليم

بسم الله الرحمن الرحيم

وبــه العــون

سرى النور من باب السلام فشاقنى ... وجدد تذكارى واذكى جوى صدرى

وارقنى والليــل داج صبــابتى ... وشوقى وتحنــانى إلى جــيرة الغور

وبرق اضــاء الكون من نحو طابة ... فهاجت له العشاق من ساكنى مصر

ونجم تــلالا من اباطح مكــة ... فكــان منار المدلجين مــن السفر

وعطر الخزامى فاح من روضة الهدى ... فحرك اشجان المحب شذا العطر

وريح من الاحبــاب هبت عشية ... فــآنست المحــزون فى البلد القــفر

ونــور أبى عثمان لاح سحــيرة ... فحنت قلوب العارفــين إلى الذكر

* * *

وركب على الاكوار اضناهم السرى ... يغنيهم الحــادى ويمــعن فى السير

يريــدون نــاراً بالــيفاع مضيئة ... يــؤم سناهــا المسنتون أولو الضر

يريدون صرح الجود من آل هاشم ... فنعماه من جــود ونعماه من بحــر

يــريدون تــاج العارفين وغوثهم ... ومن هو فى أهل الهــداية كالبدر

يريــدون ساحات الامــين محمــد ... على كل رحب الباع عات من الضمر

بنفسى ديــار للــحبيب عــزيزة ... على وررواهــا ملت مــن القطــر

ديــار أبى عثمان نــور قلوبنــا ... وشمس محيــانــا ووالدنــا الــبر

وكأس حيــاة الروح فيها لانهــا ... مزاج مــن التنسيم والخمرة البكــر

سقانى حميـــاهـــا الامين بسحرة ... فغبت عن الاكوان من نشوة الخمر
وعمت حال الســكر دارة قر به ... ولذت كما لاذ الحجيج لدى الحجر
فأحيـــا مـــواتى حين ذاك وحفنى ... بالحاظ صدق هن اخفى من السحر

* * *

إلى شرعة المختار يارب فاهــدنى ... وحقق لى الامال واشدد به ازرى
ومن منهل الآل الــكرام فمــدنى ... واتمم لى النعمــاء واجبر بهم كسرى
فانى اردت القول فيهم فــدلنى ... على المشروع القدسى إذ كنت لادرى
وكيف اصوغ القول فى مدح معشر ... عليهم ثنــاء الله فى محكم الذكر
على اننى بالعجــز ارجو هدايتى ... فانى بحب الشيخ فى مــدد وفــر
ومن سره العالى اتتنى عــوارفى ... وشمت بروق الحب للسادة الغــر
ومن فيض سر القرب كان تولهى ... فعبرت عن شجوى بنظم من الشعر
لآل رســول الله صــفو محــبتى ... ومحض الهوى منى ونعماى من ذهرى
لهــم منتهى الود المحجب فى الحشا ... وعزى الذى ارجــوه فى عيشى النضر
لهم فى فــؤداى يوم تبــلى سرائرى ... سريرة حب لا يبــوح بهــا سرى
لهم فى ثنايا القلب شــوق مــبرح ... وعشق تسامى عن رسيس الهوى العذرى
وحب قــديم مــن ألست بــكم ... سكرت به من قبــل معرفة السكر
وفى عالم الأسرار قــدماً عرفتهم ... فكنت بحمد الله منهــم على ذكر
وفى قــاب قوسين اجتمعنا بحيهم ... وفى الدرة البيضاء كان الهوى يسرى
وفى حلبة الأشواق كنت مجليــاً ... وغير المصلى يــوم اشرق فى فجرى
وشيخى حبــانى يوم ذاك بنفحة ... اويسيه كانت هــداى إلى الخــير
وكانت لى النبراس فى كل مشهد ... ونلت بهــا مالا ينــال من الــبر
سبقت بهــا العشاق طــراً لانهــا ... من النبعة الزهراء والكوكب الدرى
من الدوحة الفيحاء يسرى عبــيرها ... وفى السدرة العليــاء سلسالها يجرى
ولا بدع فى هــذا فان جنــابه ... من العترة الغــراء عالية القــدر
سقاه شراب القرب قــدما نبينــا ... وحاز مقــام الصدق صدق أبى بكر
وورثــه الشيخ الاويسى نــوره ... بسر ضياء الدين فى المشهد الخضرى

وطافوا به السبع الطباق كرامة — فكانت له الآيات فى السر والجهر

ومن كوثر العرفان فاضت دلاؤه — ولاح له السر المغيب فى النهر

وفى الافق الأعلى رأى نور ربه — فحاز مقامات تجل عن الحصر

والقى بخيمات النبى رحاله — فنوله علما تأيد فى الجفر

ورواه من راح الحقيقة صرفها — والبسه تاج المحبة والبشر

وفاز بعهد منه ان محبه — ينال رضا الرحمن فى ساعة النشر

وان مريديه مصابيح فى الدجى — يضيئون ليل الشك بالذكر والفكر

عليهم لواء الحمد فى حيلة التقى — عليهم تجلى الله فى عالم الذر

وحفهم بالستر منه تجلة — إلا أن عشاق الحقيقة فى ستر

أبا عمر قد عطر الكون نشركم — ومن عطركم فاح العبير من الزهر

أبا عمر أما نداك فواسع — وساحتك الغر الملاذ إلى الزور

يحلون فيها يبتغون جداكم — فتكسب معدوما وتجزل فى الأجر

وتروى ظماء من رحيق وسلسل — فأنت غياث المرملين من القتر

أبا عمر انى على الباب واقف — انوح كما ناحت مطوقة القمر

أبا عمر انتم شموس هدايتى — وكعبة آمالى وفوزى لدى حشرى

أبا عمر انت الطبيب لعلتى — وبلمسك الشافى لقاصمة الظهر

تداوى كلوم الروح بالعلم والحجا — وتشفى صريع الشر من لوثة الشر

تداوى قلوبا قد تعذر برؤها — وتذهب ما فى النفس من خلق وعر

أبا عمر قد لذت قدما بحيكم — فكيف اراع اليوم من حادث نكر

أبا عمر كن لى شفيعا وموئلا — إذا فاز اقوام وابطأ بى وزرى

أنرت ظلام الكون يابدر عصرنا — اضأت سماء الدين بالانجم الزهر

أبا عمر انت المؤمل عندما — يرى الناس من هول القيامة فى قهر

أبا عمر لا تنسى يوم حسرتى — فان الذى تنساه يحشر فى خسر

أبا عمــر قد قلت يومــا لجمعنــا ونحن بهو الدار فى ليلة النحر
هنيئا لكم انى ضمنت نجــاتكم وفوزكم يــوم الندامــة والحــر
فهل بعد عهد منك نخشى ملامة وانت عظيم الجاه تنطق عن خبر
أبا عمــر حسان شاعر جــدكم تايد بالروح الأمــين وبالنصر
وكعب حبى عند النشيد ببردة مشرفة تزهــو على ذائب التبر
كذلك مــداح الكرام فانهم يثوبون بالخــير الوفير وبالدثر
وما أنا إلا خــادم ابتغى الرضا ارجو العطاء الجزل من جودك الغمر
فحبك رضوان وقربك جنة وكفك يا مولاى اندى من البحر

عبد القادر عاشور

ازكى السلام ... !

صفت القلوب فاشرقــوا وأناروا سلكوا سبيل الانبيــاء وساروا
ومضوا وتقوى الله ملء صدورهم فاولئك الاخيــار والابــرار
أبقوا لنا مددا وفيضا طاهرا واليــوم ضاعت تلــكم الآثار
كالعطر ذكراهم ، يطيب عبيره أو عود نــد لامسته النــار

* * *

يا من نردد ذكره ونخصــه بالمدح ، نحــن العصبة الأنصار
ونراه فينا قائمــا وموجهــا وتحفــة البركات والأسرار
(فمحمد) ذاك (الأمــين) إمامنــا هو مصلح ، بل مرشد ومنــار
طابت مجالسنا به وبوعظــه وزهت وعمَّت تلــكم الاذكار

حيــاً وميتــاً ناطقاً ومعبراً هيهــات تحجب وجهــه الأستار

* * *

شيخى الكبير ومرشدى ومهذبى لا زال قلبى (بالطريق) ينار
اهدى لروحك فى الضريح تحيــة ازكى السلام ، يَحُفُّهُ الاكبار

عمــر القيمرى

مطبعة نهضة مصر